

# صراع العمالقه ميسي ورونالدو

قصه

معتز هيثم كرم

الفصل الأول: ولادة حلم بين أزقة ماديرا وشوارع روزاريو

لم تكن السماء تمطر ذهباً في مدينتي ماديرا البرتغالية أو روزاريو الأرجنتينية في منتصف الثمانينيات. كانت الحياة تسير بوتيرة قاسية، والفقر يلقي بظلاله على الكثير من العائلات الكادحة التي تبحث عن قوت يومها بشق الأنفس. لكن القدر، في سخرية بديعة من قسوة الواقع، كان

يخبئ بين طيات هذه المعاناة قصتين ستغيران تاريخ اللعبة الشعبية الأولى في العالم إلى الأبد.

في الخامس من فبراير لعام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين، وفي جزيرة ماديرا البرتغالية، المعزولة وسط أمواج المحيط الأطلسي، وفي منزل متواضع سقفه المصنوع من الصفيح يكاد لا يمنع مياه المطر من الدخول، استقبلت عائلة "أفيرو" طفلها الرابع والأخير. كانت الأسرة تكافح من أجل توفير أبسط مقومات الحياة؛ الأم "دولوريس" تعمل طوال النهار كطاهية للمنازل الميسورة، والأب "دينيس" يعمل كبستاني في البلدية ويدير غرفة "الملابس في ناد محلي صغير يدعى "أندورينها".

كانت الظروف قاسية لدرجة أن الأم فكرت في لحظة يأس أن تتخلص من جنينها قبل ولادته، لكن الطبيب رفض، لتبصر عينا "كريستيانو" النور. أطلق عليه والده اسما إضافيا تيمنا برئيس أمريكي شهير كان يحبه. هناك، بين الكرات القديمة والملابس الرياضية المتهالكة التي كان يغسلها والده، وجد هذا الطفل ضالته. لم تكن لديه ألعاب باهظة الثمن، بل كانت الكرة هي صديقته الوحيدة. كان يركلها في الشوارع الضيقة المليئة بالحصى والمنحدرات القاسية، يركض خلفها وكأنها طوق النجاة الوحيد من هذا الفقر المدقع.

كان كريستيانو طفلا لا يقبل الهزيمة، يبكي بحرقة إذا خسر مباراة مع رفاقه في الشارع، ويغضب إذا لم تمرر له الكرة، حتى أطلقوا عليه لقب "الطفل الباكي"، ولفرط حركته وسرعته أسموه "النحلة الصغيرة". كانت رغبته في الفوز تشتعل كالنار في صدره منذ أن كان في السادسة من عمره، وكان ينام والكرة في حضنه، يرفض أن يتركها حتى في أحلامه.

على الجانب الآخر من العالم، وبعد عامين وبضعة أشهر، وتحديدًا في الرابع والعشرين من يونيو لعام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين، وفي مدينة روزاريو العمالية في الأرجنتين، كان هناك طفل آخر يفتح عينيه على عالم يتنفس كرة القدم. كانت الأرجنتين لا تزال تعيش نشوة الفوز بكأس العالم بفضل الأسطورة دييجو مارادونا، وفي حي "لا باخادا" الترابي، ولد "ليونيل" لعائلة من الطبقة العاملة. والده "خورخي" كان عاملاً بسيطاً في مصنع للصلب، ووالدته "سيليا" تعمل في تنظيف المنازل بنظام نصف الوقت.

كان ليونيل أصغر حجماً من جميع أقرانه، هادئاً وخجولاً إلى أبعد الحدود، لا يتحدث كثيراً وعيناه دائماً تنظران إلى الأسفل. لكنه عندما تلمس قدمه الكرة، يتحول إلى كائن آخر تماماً. كانت الكرة تبدو وكأنها ملتصقة بقدمه اليسرى بغراء خفي. لم يكن يحتاج إلى قوة بدنية، بل كان يمتلك سحراً فطرياً يجعله يتلاعب بالكرة وكأنها جزء من جسده.

جدته "سيليا" كانت أول من آمن بهذا السحر. في أحد الأيام، اصططحته من يده إلى نادي "جراندولي" المحلي القريب من منزلهم. كان المدرب يحتاج إلى لاعب لإكمال الفريق في مباراة للأطفال، فنظرت الجدة للمدرب وقالت بنبرة حازمة: "أشركه، هذا الصغير سينقذكم". ورغم تردد المدرب لصغر حجم ليونيل مقارنة بالبقية، إلا أنه استسلم لإصرار الجدة.

وما إن نزلت الكرة إلى قدمه اليسرى، حتى توقف الزمن في ذلك الملعب الترابي الصغير. راوغ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، وانطلق نحو المرمى تاركاً الجميع في حالة من الذهول. في تلك اللحظة، ولدت أسطورة "البرغوث" الذي لا يمكن إيقافه.

رغم المسافة الشاسعة والمحيطات التي تفصل بين الجزيرة البرتغالية والمدينة الأرجنتينية، كانت البدايات متشابهة بشكل مذهل. كلاهما ولد في بيئة لا تعترف سوى بالعمل الشاق، وكلاهما اتخذ من الساحرة المستديرة مهرباً من واقع مرير.

الفتى البرتغالي كان يمتلك جسداً نحيلاً سيحوّله لاحقاً بالعمل الشاق إلى آلة لا تقهر، وطموحاً يلامس السحاب يرفض الاعتراف بكلمة المستحيل. والفتى الأرجنتيني كان يمتلك موهبة فطرية خالصة نزلت عليه كهدية من السماء، لكنه كان يجهل أنه على وشك مواجهة صدمة طبية قاسية كادت أن تنهي حلمه قبل أن يبدأ.

في تلك الشوارع الفقيرة، نبتت البذور الأولى لصراع سيستمر لعقدين من الزمان. لم يكن أحد يعلم حينها أن هذين الطفلين اللذين يركضان بأحذية ممزقة خلف كرات بالية، سيكبران ليقسما العالم إلى نصفين، وأن أسماءهما ستتحول إلى مرادف لمعنى العظمة. هكذا بدأت الحكاية الأطول والأجمل.. رحلة الألف ميل التي بدأت بخطوة متعثرة على أرصفة ماديرا وروزاريو

### الفصل الثاني: دموع الصغر.. الفقر ونقص هرمون النمو

لم تكن موهبة كريستيانو لتظل حبيسة الشوارع والمنحدرات القاسية في ماديرا. سرعان ما انضم الفتى النحيل إلى نادي "أندورينها" المحلي حيث كان والده يعمل. هناك، بدأ الجميع يلاحظ أن هذا الطفل يمتلك شيئاً استثنائياً. لم يكن يلعب من أجل المرح، بل كان يلعب وكأنه يخوض حرباً من

أجل البقاء. كان يركض أسرع من الجميع، ويقفز أعلى من الجميع، لكنه كان يفتقر إلى القوة البدنية.

انتقل بعدها إلى نادي "ناسيونال ماديرا"، أحد أكبر أندية الجزيرة، وفي سن الثانية عشرة، جاءت اللحظة التي غيرت مجرى حياته؛ حيث سافر لخوض فترة معايشة مع نادي "سبورتينج لشبونة" في العاصمة. كانت تلك الرحلة بمثابة كابوس للطفل الصغير. غادر حزن عائلته وترك جزيرته الهادئة ليجد نفسه وحيداً في مدينة ضخمة لا يعرف فيها أحداً. كان زملاؤه في الأكاديمية يسخرون من لهجته القروية الثقيلة، فكان يبكي كل ليلة في غرفته الصغيرة ويتصل بوالدته متوسلاً العودة. لكن الفقر الذي كان ينتظره في ماديرا، جعله يمسح دموعه في صباح كل يوم ويقرر الانتقال إلى الملعب ليثبت لهم أنه الأفضل.

بينما كان كريستيانو يصارع الغربة والسخرية في لشبونة، كان ليونيل في الأرجنتين يصارع أمراً أشد قسوة. انضم "البرغوث" إلى أكاديمية نادي "نيويلز أولد بويز" في مسقط رأسه، وسرعان ما أصبح النجم الأبرز لفريق جيل السبعة وثمانين، والذي أطلق عليه اسم "ماكينة السبعة وثمانين" بسبب انتصاراته الساحقة التي قادها ليونيل. كان يسجل أهدافاً خيالية، لكن جسده لم يكن ينمو.

في سن الحادية عشرة، تلقى والد ليونيل الصفحة التي كادت تنهي الحلم. لاحظ الأطباء أن الطفل يتوقف عن النمو مقارنة بزملائه، وبعد سلسلة من الفحوصات الطبية المعقدة، جاء التشخيص القاسي: "نقص في هرمون النمو". كان العلاج ممكناً، ولكنه تطلب حقن الطفل يومياً بهرمونات صناعية في ساقه، وكانت التكلفة باهظة جداً وتصل إلى ألف دولار شهرياً،

وهو مبلغ يفوق طاقة أسرة تعيش بالكاد على راتب عامل في مصنع للصلب.

كان ليونيل طفلاً شجاعاً، تعلم كيف يحقن نفسه يومياً في ساقه النحيلة دون أن يتذمر. كان يحمل حقيبته الطبية الصغيرة أينما ذهب، في رحلات الفريق أو عند المبيت في منزل أحد أصدقائه. لكن الأزمة الحقيقية كانت في التمويل. حاولت العائلة الحصول على دعم من النادي، لكن الإدارة تخلت عنهم بعد فترة قصيرة متذرة بضائقة مالية. لجأ الأب إلى نادي "ريفر بليت" العريق في العاصمة بوينس آيرس، ورغم انبهار مدربيهم بموهبة الفتى، رفضت الإدارة تحمل نفقات علاجه الباهظة. أغلقت الأبواب في وجه العائلة، وبدا وكأن موهبة ليونيل ستدفن قبل أن تزهر بسبب بضعة سنتيمترات وحقن طبية لا يملكون ثمنها.

في البرتغال، لم يكن القدر رحيماً بكريستيانو أيضاً. في سن الخامسة عشرة، وأثناء تألقه في أكاديمية لشبونة، شعر الفتى بتسارع غير طبيعي في نبضات قلبه حتى وهو في وقت الراحة. بعد فحوصات عاجلة، تم تشخيص حالته بوجود خلل في كهرباء القلب. أخبر الأطباء والدته "دولوريس" أن ابنها قد لا يتمكن من لعب كرة القدم مرة أخرى إذا لم يخضع لعملية جراحية دقيقة بالليزر لكي المنطقة المتسببة في الخلل. كانت نسبة الخطر موجودة، وخطر انتهاء مسيرته قبل أن تبدأ كان يلوح في الأفق. لكن العائلة وافقت على الفور، وأجريت الجراحة بنجاح، وبإصرار لا يصدق، عاد كريستيانو للتدريبات بعد أيام قليلة فقط من خروجه من المستشفى، وكان قلبه لم يعد ينبض إلا من أجل كرة القدم.

كلا الفتيين واجها في طفولتهما وحوشاً كادت تلتهم أحلامهما. كريستيانو واجه الغربة والفقر المدقع ومشروط الجراح في قلبه، وليونيل واجه خذلان

أندية بلاده وألماً يومياً في ساقيه بسبب حقن النمو. لقد صقلت هذه المعاناة المبكرة شخصية كل منهما؛ البرتغالي تحول إلى محارب لا يعرف الاستسلام ويسعى دائماً للكمال البدني، والأرجنتيني تحول إلى عبقر صامت يتحدث فقط بلغة الأهداف والانتصارات ليعوض كل سنتيمتر نقصه في جسده.

كانت الدموع التي ذُرفت في شوارع ماديرا وعيادات روزاريو هي الوقود الذي سيشعل أكبر ثورة كروية في التاريخ، ولم تكن العائلتان تدركان أن إنقاذ أحلام طفليهما سيتطلب عبور المحيطات نحو القارة العجوز، حيث تنتظرهما الأقدار لتغيير كل شيء.

### الفصل الثالث: الرحلة إلى العاصمة.. لشبونة تصقل الجوهرة

تجاوز الفتى المراهق أزمة قلبه بنجاح، وعاد إلى الملاعب برغبة عارمة في التعويض عن كل الأيام التي قضاها بعيداً عن الكرة. في أكاديمية نادي سبورتينج لشبونة العريق، أدرك كريستيانو أن الموهبة وحدها لن تكفي لتغيير واقعه المأساوي، وأن عليه أن يبني درعاً لا يمكن اختراقه؛ جسده

كان يمتلك سرعة بديهية ومهارة فائقة، لكن بنيانه النحيل كان يجعله عرضة للسقوط عند أي احتكاك قوي مع المدافعين الأكبر سناً. ومن هنا، بدأت مرحلة التحول. أصبحت صالة الألعاب الرياضية هي بيته الثاني. كان يتسلل ليلاً في الخفاء بعد نوم زملائه ليتدرب بالأوزان، لدرجة أن مدربي الأكاديمية اضطروا لوضع أقفال حديدية إضافية على أبواب الصالة لمنعهم من إرهاق نفسه، لكنه كان يتجاوز ذلك بالركض في الغابة المجاورة بأوزان يربطها حول كاحليه.

الفقر كان لا يزال يطارد الفتى البرتغالي. في ليالي الشتاء الباردة، كان الجوع ينهش بطون اللاعبين الصغار المغتربين في الأكاديمية بعد انتهاء وجبات العشاء الرسمية. كان كريستيانو يخرج مع ثلاثة من زملائه، يقفون أمام الباب الخلفي لأحد مطاعم الوجبات السريعة القريبة، ينتظرون سيدة طيبة وزميلاتها ليمنحوهم ما تبقى من شطائر اللحم قبل إغلاق المطعم. لم ينسَ كريستيانو هذه اللحظات أبداً؛ كانت تذكره دائماً بالهاوية التي يقف على حافتها، وتزيده إصراراً على تسلق قمة الجبل.

ولكي يوفر بعض الأموال الإضافية لإرسالها إلى عائلته في ماديرا، عمل كجامع للكرات في مباريات الفريق الأول. كان يقف خلف اللوحات الإعلانية، يراقب النجوم الكبار وهم يركضون على العشب الأخضر، وتشتعل عيناه. "ببريق الحلم: "في يوم ما، سأكون أنا من تركضون خلفه

لم يطل الانتظار كثيراً. موهبته المتفجرة وإصراره الحديدي لفتت أنظار المدرب الروماني "لازلو بولوني" الذي استدعاه للتدريب مع الفريق الأول وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره. رأى المدرب فيه شيئاً استثنائياً؛ طفلاً يراوغ المحترفين وكأنهم تماثيل خشبية

في موسم واحد، حقق الفتى القادم من ماديرا معجزة غير مسبوقه في تاريخ النادي البرتغالي العريق. تدرج بسرعة البرق، ليلعب في فريق تحت ستة عشر عاماً، ثم تحت سبعة عشر، ثم ثمانية عشر، ثم الريدف، وأخيراً! الفريق الأول.. كل هذا في غضون أشهر قليلة

في السابع من أكتوبر لعام ألفين واثنين، خاض أول مباراة رسمية له كأساسي مع الفريق الأول في الدوري البرتغالي. لم تكن مجرد مشاركة شرفية، بل كانت إعلاناً رسمياً عن ولادة نجم. ركض بالكرة من منتصف الملعب، وتلاعب بالدفاع بحركات بهلوانية سريعة، وسجل هدفين أذهلا الجماهير في المدرجات. الصحافة البرتغالية في اليوم التالي كتبت بالخط العريض عن الجوهرة الجديدة التي وُلدت في قلب لشبونة

سرعان ما انتشر اسم الشاب الساحر في أروقة كبار الأندية الأوروبية. كشافو الأندية من إيطاليا وإسبانيا وإنجلترا بدأوا يتوافدون على المدرجات لمراقبة هذا الفتى الذي يمتلك سرعة العدائين ومهارة السحرة. عرضت بعض الأندية مبالغ كبيرة لضمه، وكان من بين المهتمين نادٍ إنجليزي عريق يقوده مدرب فرنسي شهير في لندن، والذي التقاه بالفعل وأهداه قميصاً يحمل اسمه، لكن المفاوضات تعثرت في اللحظات الأخيرة

كان القدر يخبئ لكريستيانو موعداً مختلفاً، في ليلة صيفية ساحرة، سيقف فيها وجهاً لوجه أمام أعرق شياطين القارة العجوز، في مباراة ودية ستكتب في كتب التاريخ كأهم لقاء غير رسمي لعب على الإطلاق

ولكن.. بينما كانت أوروبا تستعد لاستقبال إمبراطورها الجديد، كان هناك في أمريكا الجنوبية أب يانس يحزم حقائبه بصحبة طفله الصغير، عابراً المحيط نحو إسبانيا، يحمل في يده أملاً أخيراً، ومنديلاً ورقياً سيغير تاريخ مقاطعة كتالونيا للأبد

#### الفصل الرابع: منديل ورقي في كتالونيا.. برشلونة يتبنى الموهبة

ضاعت السبل في روزاريو، وأغلقت الأندية الأرجنتينية أبوابها في وجه الفتى المعجزة. كان خورخي، والد ليونيل، يرى حلم ابنه يتسرب من بين

يديه كحبات الرمل. تكلفة علاج نقص هرمون النمو كانت بمثابة جبل ثقيل يكسر ظهر العائلة البسيطة. لكن الاستسلام لم يكن خيارا متاحا. من خلال بعض الوسطاء، وصلت أشرطة فيديو تظهر سحر الفتى الصغير وهو يتلاعب بالكرة إلى مكاتب نادي برشلونة في إسبانيا

في سبتمبر من عام ألفين، قطع ليونيل بصحبة والده المحيط الأطلسي متوجهين إلى إقليم كتالونيا. كان طفلا خجولا يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما، لا يتحدث، وعيناه تراقبان كل شيء بصمت وحذر. عند وصوله إلى ملاعب اختبارات النادي، بدا وكأنه نكتة وسط اللاعبين الإسبان طوال القامة وذوي البنية القوية. كان قصيرا جدا، ونحيفا لدرجة أن قميص التدريب كان يبدو وكأنه خيمة فضفاضة على جسده الضئيل

لكن بمجرد أن أطلق الحكم صافرة بداية المباراة التجريبية، تحولت السخرية المكتومة إلى ذهول مطبق. الفتى الصغير تسلم الكرة وبدأ في الركض. راوغ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث بلمسات سريعة وخفيفة وكأنه يطير فوق العشب. كان يمرر الكرات بدقة هندسية، ويسجل الأهداف ببرود قاتل لا يتناسب مع عمره.

كان كارليس ريكساش، السكرتير الفني للنادي آنذاك، يراقب المشهد من المدرجات. لم يحتج سوى لدقائق معدودة ليقفز من مقعده قائلا للمحيطين به: "يجب أن نتعاقد مع هذا الفتى فوراً.. حتى لو اضطررنا لربطه في". "كرسي كي لا يهرب

رغم الانبهار الفني الساحق، كانت إدارة النادي الكتالوني مترددة. التعاقد مع طفل أجنبي في هذا العمر كان أمرا غير معتاد ومحفوفا بالمخاطر القانونية والمالية، ناهيك عن التكلفة الباهظة لعلاج الهرموني وتوفير سكن ووظيفة

لوالده. استمرت المماثلة لأسابيع، وبدأ اليأس يتسلل مجددا إلى قلب الأب. شعر خورخي أن إدارة النادي تتلاعب به، فأرسل إنذارا حاسما: إما أن توقعوا عقدا رسميا الآن، أو سنحزم حقائبنا ونعود إلى الأرجنتين في الغد.

في الرابع عشر من ديسمبر، وفي ناد رياضي شهير للتنس في كتالونيا، التقى ريكساش بوكلاء اللاعب وممثلي العائلة لإنقاذ الموقف. كان التوتر يسيطر على الأجواء، والتهديد بالرحيل حقيقيا. أدرك ريكساش أن برشلونة على وشك خسارة أعظم موهبة رآها في حياته. وفي لحظة إلهام تاريخية، ولعدم توفر أوراق رسمية أو عقود مطبوعة في تلك الجلسة غير الرسمية، طلب من النادل منديلا ورقيا أبيض، أخرج قلمه وبدأ يكتب عهدا سيغير تاريخ كرة القدم للأبد.

كتب على المنديل عبارات تعهد رسمية باسم إدارة برشلونة بالتعاقد مع اللاعب ليونيل متحملا كافة المسؤوليات المالية لتكاليف علاجه الطبي، بشرط التزام اللاعب ووالده بالبقاء. وقع الحاضرون على هذا المنديل البسيط، الذي تحول لاحقا إلى واحدة من أعلى وأشهر الوثائق في تاريخ الرياضة العالمية.

وهكذا، انضم الفتى الأرجنتيني رسميا إلى مدرسة لاماسيا الشهيرة. لكن الثمن العاطفي كان باهظا وموجعا. لم تستطع والدته وإخوته البقاء في إسبانيا طويلا بسبب صعوبة التأقلم واختلاف الثقافة والقوانين، فعادوا إلى الأرجنتين، وبقي ليونيل وحيدا مع والده في شقة صغيرة قريبة من ملعب كامب نو.

كان الفتى الصغير يبكي بصمت في غرفته ليلا، يخفي دموعه في وسادته عن والده حتى لا يشعره بالذنب أو الحمل الثقيل. كان يشترق لحضن والدته

ولأصدقائه في شوارع روزاريو، لكنه كان يعلم جيدا أن التراجع يعني العودة إلى نقطة الصفر ونهاية الحلم. داخل جدران لاماسيا، كان ليونيل ظاهرة لا تُفسر. في التدريبات والمباريات مع فرق الناشئين، كان يمزق شبك الخصوم بلا هوادة، وتوطدت علاقته سريعا مع زملاء سيصنعون معه التاريخ لاحقا، مثل جيرارد وسييسك.

مع كل حقنة هرمون كانت تغرس في ساقه النحيلة، كان إصراره ينمو ويتصلب، ومع كل دمعة شوق كان يذرفها في صمت الليل، كانت مهارته تصقل لتصبح أكثر قسوة وحسما في الملعب. في لاماسيا، لم يُعالج جسد ليونيل وينمو فحسب، بل تم بناء عقلية بطل لا يعرف الرحمة أمام المرمى.

وبينما كان الفتى الأرجنتيني يضع حجر الأساس لإمبراطوريته الكتالونية بصمت وثبات، كانت في إنجلترا قصة أخرى تُكتب بصخب، بطلها الفتى البرتغالي الذي سحر عين مدرب أسطوري بلمحة واحدة في ليلة ساحرة لن تنساها ملاعب لشبونة أبدا

### الفصل الخامس: السير أليكس فيرجسون ورهان الشياطين الحمر

في صيف عام ألفين وثلاثة، كانت مدينة لشبونة تستعد لافتتاح ملعبها الجديد "جوزيه ألفالادي". وللاحتفال بهذه المناسبة التاريخية، وجهت إدارة

نادي سبورتنج الدعوة لواحد من أعظم وأعرق أندية العالم، بطل إنجلترا، فريق الشياطين الحمر الذي يقوده المدرب الاسكتلندي الأسطوري "أليكس". "فيرجسون".

كانت تشكيلة الفريق الإنجليزي مدججة بالنجوم والأبطال، نزلوا إلى أرض الملعب بثقة المنتصرين، يتوقعون مباراة احتفالية سهلة لرفع اللياقة البدنية قبل بداية الموسم الجديد. لكنهم لم يكونوا مستعدين بأي شكل للعاصفة التي كانت تنتظرهم.

على الجناح الأيسر للفريق البرتغالي، وقف فتى نحيل يبلغ من العمر ثمانية عشر عاما، يرتدي القميص رقم ثمانية وعشرين، بخصلات شعر شقراء غير متناسقة وحذاء يلعب تحت الأضواء. أطلق الحكم صافرة البداية، وما هي إلا دقائق حتى بدأ العرض المسرحي الذي سيغير وجه كرة القدم.

تسلم الفتى الكرة، وبدلا من تمريرها للخلف احتراما لأسماء منافسيه المرعبة، انطلق كالرصاصة نحو دفاع الفريق الإنجليزي الصلب. بدأ يمرر الكرة بين قدميه بخفة ورشاقة، يراوغ يمينا ويسارا، يتوقف فجأة ثم ينطلق بأقصى سرعة. كان المدافع الأيرلندي بانسا وهو يحاول إيقافه، يلهث خلفه وتلتوي كاحلاه مع كل حركة خداعية، حتى بدا وكأنه يشعر بالدوار وتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه لينهي هذا الكابوس.

على دكة البدلاء الإنجليزية، تغيرت ملامح المدرب الاسكتلندي الصارمة. كان معروفا بحدة طبعه وصرامته الشديدة، لكنه وقف يراقب الفتى بذهول المكتشف الذي وجد كنزا مفقودا. لم يكن وحده المذهول؛ بين الشوطين وفي غرفة الملابس، لم يتحدث لاعبو الفريق الإنجليزي الكبار عن خطط المباراة أو الأخطاء الدفاعية، بل كان الحديث كله يتركز على جملة واحدة ردها

قادة الفريق: "أيها المدرب، يجب أن نتعاقد مع هذا الفتى فوراً، لا يمكن أن نتركه يرحل إلى مكان آخر".

انتهت المباراة بفوز الفريق البرتغالي بثلاثة أهداف مقابل هدف، لكن النتيجة لم تكن تهم أحداً. في الممرات المؤدية إلى غرف تغيير الملابس، أوقف المدرب الاسكتلندي مسؤولي الفريق البرتغالي وقال كلمته الشهيرة: "حافلتني لن تغادر هذا الملعب ولن نعود إلى إنجلترا قبل أن ننهي صفقة هذا الشاب".

في غضون أيام قليلة، تمت الصفقة، وحزم الفتى البرتغالي حقائبه متجهاً نحو مدينة مانشستر الصناعية الباردة والممطرة. كان يشعر بالرهبة والخوف من هذا الانتقال الضخم، لكنه كان مستعداً للتحدي.

في مكتب المدرب الاسكتلندي، وقعت اللحظة التي شكلت شخصية الفتى للأبد. سأله المدرب عن الرقم الذي يفضل ارتدائه، فأجاب الفتى بخجل أنه يريد قميصه القديم رقم ثمانية وعشرين لتخفيف الضغط عنه والابتعاد عن التوقعات الكبيرة. لكن المدرب المخضرم، الذي يمتلك فراسة لا تخيب، نظر في عيني الفتى وقال بحزم: "لا، لن ترتدي ذلك الرقم. ستحمل الرقم سبعة".

وقع الرقم كالصاعقة على الفتى. في تاريخ النادي الإنجليزي العريق، لم يكن الرقم سبعة مجرد قطعة قماش، بل كان إرثاً ثقيلاً ورمزاً تاريخياً ارتداه أساطير النادي وأيقوناته التاريخية. تسليم هذا القميص لشاب مراهق نحيل قادم من البرتغال كان بمثابة رهان مجنون وشهادة ثقة مطلقة من مدرب لا يمنح ثقته بسهولة.

ارتدى كريستيانو القميص رقم سبعة، ونظر إلى نفسه في المرآة. أدرك حينها أن مرحلة الطفولة قد انتهت، وأن عليه أن يتحول من فتى يستعرض مهاراته لإمتاع الجماهير بحركات استعراضية، إلى آلة حاسمة تصنع الانتصارات وتجلب البطولات وتحمل عبء أعظم الأندية الإنجليزية على كتفيه.

وهكذا، بينما كان الفتى الأرجنتيني يبني أساسات المجد في هدوء وصمت تحت شمس إسبانيا الدافئة، كان البرتغالي يقف تحت أمطار إنجلترا الغزيرة، يستعد لترويض مسرح الأحلام، وإطلاق الشرارة الأولى لصراع العمالقة الذي سيحرق كل الأرقام القياسية في تاريخ اللعبة

### الفصل السادس: الظهور الأول في ملعب الكامب نو

كانت غرفة تغيير ملابس الفريق الأول في النادي الكتالوني تشبه قاعة اجتماع لملوك الأرض. أبطال العالم، نجوم القارة، وأساطير اللعبة يجلسون جنباً إلى جنب. الدخول إلى هذه الغرفة كان يتطلب شجاعة وهيبة، لكن

عندما فتح الباب، دخل فتى أرجنتيني مراهق، خجول لدرجة أنه كان ينظر إلى أربطة حذائه طوال الوقت ليتجنب التواصل البصري مع هؤلاء العمالقة.

لم يكن يمتلك بنية جسدية قوية، ولم تكن تبدو عليه أي ملامح للظفرسة الكروية، لكن بمجرد أن بدأت التدريبات، تحولت نظرات النجوم الكبار من الاستغراب إلى الصدمة الممزوجة بالرعب. كان الفتى الصغير يمرق بالكرة من بين أقدام أعتى المدافعين وكأنه شبح غير مرئي.

في تلك الفترة، كان هناك ملك متوج على عرش الإقليم، ساحر برازيلي بابتسامة لا تفارق وجهه، يعزف سيمفونيات كروية لم يشهدها التاريخ من قبل. كان هذا الساحر البرازيلي هو أول من اقترب من الفتى الخجول. لقد رأى فيه انعكاسا لموهبة قادمة من كوكب آخر، فقرر أن يضمه تحت جناحه في غرفة الملابس، أجلسه بجواره، وفي الملعب، كان يبحث عنه ليمرر له "الكرة، وكأنه يخبر العالم أجمع: "هذا هو وريثي الشرعي".

في منتصف أكتوبر من عام ألفين وأربعة، قرر المدرب الهولندي فرانك ريكارد أن اللحظة قد حانت. في مباراة الديربي المحلي الصعبة والمشحونة، طلب المدرب من الفتى الأرجنتيني صاحب القميص رقم ثلاثين أن يستعد للنزول. وقف الفتى على خط التماس، قلب ينبض بسرعة، وعينان تتسعان أمام الجماهير الهادرة. دخل إلى أرض الملعب ليلعب دقائقه الرسمية الأولى، وكانت لمساته القليلة كافية لإرسال رسالة واضحة: الجوهرة قد خرجت من الصندوق.

لكن اللحظة التي حفرت اسمه بحروف من نور في عقل ووجدان جماهير النادي الكتالوني جاءت في الأول من مايو لعام ألفين وخمسة، تحت

الأضواء الكاشفة لملاعب الكامب نو العظيم. كانت المباراة تلفظ أنفاسها الأخيرة ضد فريق ألباسيتي، حين قرر المدرب الدفع بالفتى الأرجنتيني

بمجرد دخوله، تسلم كرة من الساحر البرازيلي، وبلمسة خيالية وضعها من فوق حارس المرمى لتسكن الشباك. انفجر الملعب بالصياح، لكن الحكم أطلق صافرته ملغيا الهدف بداعي التسلل. ابتسم الفتى بخجل وعاد إلى مركزه، لكن الساحر البرازيلي غمز له بعينه وكأنه يقول: "سنفعلها مجددا".

وبعد دقيقتين فقط، وكان القدر يعيد كتابة المشهد بتفاصيل أكثر دقة، مرر البرازيلي كرة ساقطة سحرية فوق رؤوس المدافعين، انطلق الفتى الأرجنتيني، وبنفس البرود القاتل، وبنفس اللمسة العبقرية من قدمه اليسرى، رفع الكرة من فوق الحارس المتقدم لتعانق الشباك. هذه المرة، لم يرفع الحكم رايته، واهتز الكامب نو بزلزال من الأفراح

ركض الفتى نحو الزاوية، ليأتي معلمه البرازيلي ويحمله على ظهره، في لقطة أيقونية تناقلتها وكالات الأنباء في كل أرجاء الكوكب. كانت تلك الصورة أبلغ من ألف مقال رياضي؛ الملك الحالي يحمل على ظهره الملك المستقبلي، يرفعه عاليا ليقدمه إلى شعبه

كان هذا الهدف هو الإعلان الرسمي عن ميلاد أسطورة حية. الفتى الذي كان أن يفقد حلمه بسبب نقص هرمونات النمو، والذي كان يبكي وحيدا في غرفته الصغيرة، أصبح الآن يقف شامخا على مسرح الكامب نو، محمولا على أعناق الكبار

وفي تلك الليلة، بينما كانت الجماهير الكتالونية تحتفل بولادة بطلها الجديد، كانت الجماهير في إنجلترا تشهد تطورا مرعبا للفتى البرتغالي الذي بدأ يعيثُ فسادا في دفاعات الدوري الأقوى في العالم. العمالقة بدأوا في التحرك، والصدام المباشر بات مسألة وقت لا أكثر

الفصل السابع: الساحر الصغير وقميص البرتغال

بينما كان الفتى البرتغالي يروض الملاعب الإنجليزية القاسية تحت أمطار مدينة مانشستر، كان نداء الوطن يتردد في أعماقه بقوة لا تقاوم. في لشبونة، كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق لاستضافة الحدث الكروي الأضخم في القارة، بطولة أمم أوروبا لعام ألفين وأربعة. كانت الجماهير البرتغالية تعيش حالة من الترقب والأمل، معتمدة على "الجيل الذهبي" من أساطيرها بقيادة النجم التاريخي لويس فيجو وصانع الألعاب العبقري روي كوستا. لكن المدرب البرازيلي لويس فيليب سكولاري كان يرى أن هذا الجيل يحتاج إلى دماء جديدة، دماء شابة تضخ الحيوية والسرعة في أوصال الفريق.

في العشرين من أغسطس لعام ألفين وثلاثة، نال كريستيانو الشرف الأعظم لأي لاعب، وارتدى قميص المنتخب الوطني الأول لأول مرة في مباراة ودية ضد كازاخستان. دخل أرض الملعب بديلاً لأسطوره ومثله الأعلى لويس فيجو. كانت تلك اللحظة بمثابة تسليم رمزي للرؤية، رغم أن أحداً لم يكن يدرك حينها حجم العبء الذي سيحمله هذا الشاب على كتفيه لسنوات طويلة قادمة.

جاء صيف ألفين وأربعة، وانطلقت البطولة على الأراضي البرتغالية. تحولت الشوارع إلى بحر من الأعلام الحمراء والخضراء. كان الفتى صاحب التسعة عشر عاماً محط أنظار الجميع، بخصلات شعره اللامعة، ومهاراته الاستعراضية التي كانت تثير حماس المدرجات. في المباراة الافتتاحية ضد منتخب اليونان العنيد، ورغم الهزيمة المفاجئة، سجل كريستيانو هدفه الدولي الأول بضربة رأسية قوية، ليعلن عن ميلاد هداف لا يعرف الرحمة.

تجاوزت البرتغال صدمة البداية، وانطلقت في مسار انتصارات ملحمي نحو المباراة النهائية، متجاوزة منتخبات كبرى مثل إسبانيا وإنجلترا وهولندا.

كان الفتى النحيل يتألق من مباراة لأخرى، يصنع ويسجل، وأصبح النجم الأول في عيون الجماهير، لدرجة أن الكثيرين رأوا فيه بطل الرواية الذي سيهدي بلاده لقبها الأول المنشود.

في الرابع من يوليو، احتشدت الجماهير في ملعب النور بالعاصمة لشبونة للمباراة النهائية. كانت الأجواء احتفالية والجميع يترقب التتويج، خاصة وأن الخصم هو نفس المنتخب اليوناني الذي هزمهم في الافتتاح، وكانت الفرصة مثالية للانتقام. لكن كرة القدم، كما هي عاداتها، لا تعترف بالمنطق، وتكتب سيناريوهاتها بقسوة بالغة.

التزم المنتخب اليوناني بدفاع حديدي مستميت، وفي هفوة قاتلة، سجلوا هدفا مباغتاً من ركلة ركنية. حاول الجيل الذهبي البرتغالي تدارك الموقف، وركض كريستيانو في كل شبر من الملعب، سدّد وراوغ وحاول اختراق الجدار الدفاعي بكل الطرق الممكنة، لكن الكرة رفضت دخول الشباك. أطلق الحكم صافرة النهاية، ليعلن اليونان بطلة للقارة، وتغرق البرتغال في صمت جنائزي.

في وسط الملعب، سقط الفتى البرتغالي المراهق على ركبتيه، وانفجر في بكاء هستيري. لم تكن مجرد دموع حزن على خسارة مباراة، بل كانت صرخة قهر من طفل رأى حلم أمته يتحطم أمام عينيه وفي عقر داره. التقطت الكاميرات وجهه المحمر بالدموع وهو يمشي تائها في الملعب، فاقتدا القدرة على استيعاب الصدمة. اقترب منه القائد لويس فيجو، ضمه إلى صدره وحاول مواساته، في لقطة كانت تعني الكثير؛ نهاية حقبة وبداية أخرى.

كانت دموع لشبونة عام ألفين وأربعة نقطة تحول مفصلية في تكوين عقلية كريستيانو. أدرك في تلك الليلة الحزينة أن الموهبة وحدها لا تكفي لجلب المجد، وأن خيبات الأمل هي الثمن الذي يجب أن يدفعه من يريد الوصول إلى القمة. مسح دموعه ووعد نفسه بأن يعود أقوى، وأن يحمل هذا المنتخب على ظهره يوماً ما ليعوض تلك الجماهير التي بكت معه.

وبينما كان الفتى البرتغالي يتذوق مرارة الهزيمة الدولية الأولى ويتعلم أقسى دروس كرة القدم، كان الساحر الأرجنتيني الصغير يرتدي قميص بلاده المخطط بالأزرق والأبيض، مستعداً لبدء رحلته الخاصة مع منتخب التانجو، رحلة لن تقل قسوة ودراما عن نظيرتها البرتغالية

الفصل الثامن: خليفة مارادونا يرتدي قميص التانجو

بينما كانت إسبانيا تحتضن الفتى الأرجنتيني وتصقل موهبته بين جدران "لاماسيا"، كان مسؤولو الاتحاد الإسباني لكرة القدم يراقبون عن كثب هذا الساحر الصغير الذي يتلاعب بالجميع. أدركوا أنهم أمام معجزة كروية، وسرعان ما قدموا له عرضاً رسمياً ومغرياً لارتداء قميص المنتخب الإسباني والدفاع عن ألوان "الماتادور". كان الخيار منطقياً للبعض؛ فإسبانيا هي البلد الذي عالجه وآمن به، واللعب بجوار زملائه في الأكاديمية مثل سيسك فابريجاس وجيرارد بيكيه سيوفر له بيئة مألوفة ومريحة.

لكن ليونيل، ورغم كل السنوات التي قضاها بعيداً عن وطنه، كان قلبه لا يزال ينبض في شوارع روزاريو. كان رده قاطعاً ولا يحتمل النقاش: "أنا أرجنتيني، ولن أرتدي سوى القميص المخطط بالأزرق والأبيض".

وصلت أنباء هذه المحاولات الإسبانية إلى العاصمة بوينس آيرس، فأصيب مسؤولو الاتحاد الأرجنتيني بالذعر. كانوا بالكاد يعرفون اسمه، لدرجة أن أول استدعاء رسمي له تضمن خطأً إملائياً فادحاً في كتابة اسمه (ليونيل ميسي)، لكنهم سارعوا بتنظيم مباراة ودية لمنتخب تحت عشرين عاماً ضد باراجواي خصيصاً لضمان مشاركته لدقائق معدودة، وإغلاق الباب قانونياً أمام أي محاولة إسبانية لخطفه مستقبلاً.

لم تكن تلك المباراة سوى شرارة الانطلاق. في صيف عام ألفين وخمسة، سافر ليونيل مع منتخب التانجو للشباب إلى هولندا للمشاركة في كأس العالم تحت عشرين عاماً. بدأ البطولة على مقاعد البدلاء، لكنه سرعان ما فرض نفسه كإعصار لا يمكن إيقافه. قاد بلاده للفوز بالبطولة، وحصد جانزتي الأهداف وأفضل لاعب. في تلك اللحظة، لم تعد الأرجنتين ترى فيه مجرد

لاعب واعد، بل رأت فيه "المخلص" المنتظر. وبدأت الصحافة تطلق اللقب  
".الذي سيكون أعظم هدية وأقسى لعنة في مسيرته: "مارادونا الجديد

لم يتأخر خوسيه بيكرمان، مدرب المنتخب الأول، في استدعاء الفتى  
المعجزة. وفي السابع عشر من أغسطس لعام ألفين وخمسة، كانت  
الأرجنتين على موعد مع التاريخ في مباراة ودية ضد المجر في العاصمة  
بودابست. وهي مفارقة قدرية غريبة، حيث كانت نفس المدينة ونفس  
الخصم اللذين شهدا الظهور الأول للأسطورة ديبجو مارادونا قبل ذلك  
إبعقود

كانت الدقيقة الثالثة والستين، والنتيجة تشير إلى تقدم الأرجنتين. وقف  
ليونيل، صاحب الثمانية عشر عاماً، على خط التماس، يرتدي القميص رقم  
ثمانية عشر الفضفاض. دخل أرض الملعب بدلاً من ليساندرو لوبيز،  
والعيون كلها تترقبه. حلم الطفولة يتحقق أخيراً

تلقى ليونيل الكرة الأولى، وبغريزته المعتادة، استدار وانطلق نحو المرمى.  
المدافع المجري "فيلموس فانتشاك" وجد نفسه عاجزاً عن إيقافه، فقام  
بجذبه من قميصه بقوة. في محاولة للإفلات من هذا الخصم العنيد والمضي  
قدماً بالكرة، لوح ميسي بذراعه إلى الخلف، لتصطدم يده بوجه المدافع  
المجري الذي سقط أرضاً متألماً

أطلق الحكم الألماني "ماركوس ميرك" صافرته، وركض نحو ميسي وأشهر  
البطاقة الحمراء المباشرة في وجهه

صدمة وذهول في الملعب. ثلاثة وأربعون ثانية فقط! هذا كل ما استغرقه الظهور الأول للفتى الذي انتظره الملايين. خرج ليونيل من الملعب مطأطأ الرأس، غير مصدق لما يحدث. بمجرد دخوله إلى غرفة تغيير الملابس، انهار في إحدى الزوايا، ودفن وجهه بين يديه وبدأ في نوبة بكاء هستيرية لا تتوقف. كان يظن أن مسيرته الدولية قد انتهت قبل أن تبدأ، وأن الجماهير في الأرجنتين ستعتبره خائباً للآمال.

عاد زملاؤه الكبار إلى الغرفة بعد المباراة، وحاولوا تهدئته ومواساته. أخبروه أن هذه مجرد عثرة، وأن المستقبل كله ملكه. تماماً كما بكى كريستيانو في لشبونة ضياع حلم أمم أوروبا، بكى ليونيل في بودابست. ضياع حلم البداية المثالية.

لكن ما لم يدركه ليونيل في تلك الليلة الحزينة، هو أن البطاقة الحمراء في بودابست لم تكن سوى تحذير مبكر. تحذير بأن ارتداء قميص منتخب الأرجنتين، وحمل إرث مارادونا الثقيل، سيكون أصعب وأقسى من أي تحدٍ واجهه في حياته، وأن الطريق إلى المجد مع بلاده لن يكون مفروشاً بالورود، بل سيكون مليئاً بالدموع والضغط التي تكاد تسحق الجبال.

وبينما كان ميسي ورونالدو يكتبان سطورهما الأولى مع منتخبات بلادهما بدموع الخيبة والتحدي، كانت بطولة الأعظم والأكبر على الأبواب. ألمانيا ألفين وستة كانت تستعد لاستضافة كأس العالم، وهناك، سيتذوق الثنائي لأول مرة طعم المونديال الأعلى.

## الفصل التاسع: كأس العالم فى ألمانيا.. أولى لمسات المونديال

جاء صيف عام ألفين وستة، وتوجهت أنظار كوكب الأرض نحو ألمانيا، حيث يقام الحدث الرياضي الأضخم والأهم: كأس العالم. لم يكن المونديال مجرد بطولة، بل كان المسرح الأكبر الذي تُختبر فيه أساطير كرة القدم، وهناك، كان الشابان، ميسي ورونالدو، يستعدان لتذوق طعم المجد المونديالي لأول مرة.

فى معسكر التانجو، كان ليونيل ميسي، الذي أتم عامه التاسع عشر للتو، يمثل الأمل السري للأرجنتين. كان أصغر لاعب يمثل بلاده فى تاريخ المونديال. فى دور المجموعات، وتحديدأ فى المباراة الثانية ضد صربيا والجبل الأسود، قرر المدرب بيكرمان إطلاق العنان لجوهرته. دخل ميسي فى الدقائق الأخيرة والنتيجة تشير إلى تقدم الأرجنتين بثلاثية. وفى غضون ربع ساعة فقط، قلب الفتى الموازين تماماً؛ صنع هدفاً رائعاً لهرنان كريسبو، ثم انطلق مسجلاً هدفه المونديالي الأول بقدمه اليمنى. انفجرت فرحة الأرجنتينيين، وكتبت الصحف العالمية عن ولادة النجم الذي سيحمل التانجو إلى الذهب.

لكن دراما كرة القدم الأرجنتينية تأبى أن تكون مكتملة السعادة. فى ربع النهائي، اصطدمت الأرجنتين بأصحاب الأرض، الماكينات الألمانية. امتدت المباراة للأشواط الإضافية ثم ركلات الترجيح. وعلى دكة البدلاء، كانت هناك صورة التقطتها الكاميرات ولن تنساها الذاكرة أبداً؛ ليونيل ميسي يجلس وحيداً، يضم ركبتيه إلى صدره، وعيناه تتابعان فى حيرة وعجز خروج بلاده من البطولة. اختار المدرب عدم إشراكه فى تلك الليلة الحاسمة، وهو قرار أثار غضباً عارماً فى الأرجنتين. غادر ميسي ألمانيا

بقلب مكسور، مقتنعاً بأن كأس العالم بطولة قاسية لا تعترف بالموهبة وحدها، وأن مقاعد البدلاء هي أفسى مكان يمكن أن يتواجد فيه لاعب

على الجانب الآخر، وفي معسكر البرتغال، كان كريستيانو رونالدو، صاحب الواحد وعشرين عاماً، يعيش موندنياً صاخباً بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لم يعد ذلك المراهق الباكي، بل أصبح جناحاً مرعباً يرتدي القميص رقم سبعة عشر في ظل وجود القائد لويس فيجو. سجل كريستيانو هدفه المونديالي الأول من ركلة جزاء ضد إيران، لكن اللحظة الأهم والمفصلية في مسيرته حدثت في ربع النهائي ضد المنتخب الإنجليزي

كانت مواجهة نارية، زاد من اشتعالها أن كريستيانو كان يواجه زميله وصديقه في مانشستر يونايتد، واين روني. في الشوط الثاني، تدخل روني بخشونة على لاعب برتغالي، فركض كريستيانو نحو الحكم مطالباً بطرده. استشاط روني غضباً ودفع كريستيانو، فأشهر الحكم البطاقة الحمراء في وجه النجم الإنجليزي. وأثناء خروج روني، التقطت الكاميرات كريستيانو وهو يوجه "غمزة" سريعة وشهيرة لدكة بدلاء البرتغال، وكأنه يقول: "المهمة أُنجزت".

وصلت المباراة إلى ركلات الترجيح، وتقدم كريستيانو ليسدد الركلة الحاسمة. لم يرتجف، وضع الكرة في الشباك وأرسل البرتغال إلى نصف النهائي، وأرسل الإنجليز إلى الديار. في اليوم التالي، تحول كريستيانو إلى "العدو الأول" في إنجلترا. دمرت الصحف البريطانية صورته، وطالبت بطرده من مانشستر يونايتد، وهددته الجماهير في الشوارع

توقفت مسيرة البرتغال في نصف النهائي أمام سحر زين الدين زيدان وفرنسا، لكن رونالدو عاد من ألمانيا محملاً بدرسرين قاسيين: الأول هو أن

قيادة بلاده تتطلب تضحيات كبرى، والثاني أن العالم يمكن أن ينقلب ضده في ثانية واحدة، وأن عليه أن يواجه هذا الغضب الكروي بمزيد من الأهداف والانتصارات.

انتهى مونديال ألمانيا، وفازت إيطاليا باللقب، وعاد الثنائي الشاب إلى أنديةتهما. كان هذا المونديال بمثابة حجر الأساس. كلاهما تذوق طعم التسجيل في أكبر محفل دولي، وكلاهما تجرع مرارة الخروج بطرق مختلفة ومؤلّمة.

عاد ميسي إلى برشلونة ليثبت أنه ليس مجرد بديل واعد بل النجم الأول، وعاد رونالدو إلى مانشستر ليواجه غضب إنجلترا بأكملها ويثبت أنه لم ينكسر. وفي الأفق، كانت الجوائز الفردية الكبرى، وعلى رأسها الكرة الذهبية، تجهز نفسها لفتح أبوابها أمام هذا الجيل الجديد الذي بدأ في السيطرة على الأخضر واليابس

## الفصل العاشر: أول كرة ذهبية.. إعلان قدوم الأبطال

في شتاء عام ألفين وسبعة، وداخل القاعة الفخمة في مدينة زيورخ السويسرية، التقطت الكاميرات صورة ستُصنّف لاحقاً كواحدة من أهم الصور في تاريخ كرة القدم الحديث. على منصة التتويج لجائزة أفضل لاعب في العالم، وقف البرازيلي الأنيق ريكاردو كاكّا يحمل الجائزة بابتسامته المعهودة، وعلى يمينه وقف ليونيل ميسي، وعلى يساره وقف كريستيانو رونالدو.

كان كاكّا يعيش قمة مجده، لكنه لم يكن يدرك، ولا العالم أجمع كان يدرك، أن هذه الصورة كانت إعلاناً رسمياً بنهاية "عصر البشر"، وبداية احتكار "الفضائيين" لهذه المنصة لعقد كامل من الزمان. في تلك الليلة، نظر الشابان إلى الجائزة الذهبية اللامعة بنظرات مختلفة؛ لم يعودا مجرد مواهب شابة تسعى لإثبات نفسها، بل أصبحا وحوشاً جائعة تدرك أن القمة تتسع لواحد فقط.

كان كريستيانو قد حوّل الغضب الإنجليزي ضده بعد مونديال ألفين وستة إلى وقود نووي. في موسم ألفين وسبعة - ألفين وثمانية، تحول الفتى الاستعراضى إلى ماكينة أهداف مرعبة. تحت قيادة السير أليكس فيرجسون، سجل البرتغالي اثنين وأربعين هدفاً في مختلف المسابقات، في رقم إعجازي. للاعب جناح في الدوري الإنجليزي العنيف.

وصل كريستيانو بمانشستر يونايتد إلى نهائي دوري أبطال أوروبا في العاصمة الروسية موسكو، ليواجه تشيلسي تحت أ مطار روسيا المتجمدة. افتتح رونالدو التسجيل برأسية خرافية ارتقى فيها وكأنه يطير في الهواء، لكن تشيلسي تعادل، وذهبت المباراة إلى ركلات الترجيح.

تقدم كريستيانو لتسديد ركلته.. توقف، أخذ نفساً عميقاً، سدد.. وتصدى لها الحارس بيتر تشيك! سقط كريستيانو على ركبتيه، وغطى وجهه بيديه وسط الوحل والأمطار. كان يرى حلم حياته يتبخر بسبب خطأ منه، لكن القدر، أو انزلاقة جون تيري الشهيرة وتألق الحارس فان دير سار، أنقذت اليونان من أن يفتوح باللقب. سقط رونالدو مرة أخرى على عشب موسكو، لكن هذه المرة بدموع الفرحة الهستيري.

في نهاية ذلك العام (الفين وثمانية)، لم يكن هناك أي شك. توج كريستيانو رونالدو بجائزة الكرة الذهبية لأول مرة في مسيرته. وقف على المنصة، وحبس دموعه وهو يهدي الجائزة لعائلته التي عانت الفقر في ماديرا. لقد وصل إلى قمة العالم، لكنه كان يعلم أن هناك ظلاً قصيراً ومخيفاً يقترب منه. بسرعة الصاروخ من كاتالونيا.

في برشلونة، كانت رياح التغيير تعصف بالنادي. رحل الساحر البرازيلي رونالدينيو، وتولى المدرب الشاب بيبي جوارديولا مهمة قيادة الفريق. أول قرار اتخذه بيبي كان إعطاء القميص رقم "عشرة" الأسطوري لليونيل ميسي، وبناء خطة الفريق بالكامل حوله.

تحرر ميسي من كل القيود، وانفجرت عبقريته بشكل لم يسبق له مثيل. في موسم ألفين وثمانية - ألفين وتسعة، قاد ميسي برشلونة لتحقيق "السداسية التاريخية"، وهو إنجاز لم يحققه أي نادٍ في التاريخ. كان يعزف الألحان في الملعب، يسجل، يصنع، ويتلاعب بخطوط الدفاع بأكملها.

ولأن القدر كان يجهز المسرح لأعظم صراع كروي، التقى برشلونة بمانشستر يونايتد في نهائي دوري أبطال أوروبا عام ألفين وتسعة في العاصمة الإيطالية روما. كانت المواجهة المباشرة الأولى في نهائي قاري بين رونالدو، حامل الكرة الذهبية، وميسي، المتحدي الأعظم.

في تلك الليلة الصيفية، أثبت ميسي أن السحر يتفوق على القوة. سيطر برشلونة على المباراة، وفي الشوط الثاني، أرسل تشافي هيرنانديز كرة عرضية داخل منطقة الجزاء. قفز ميسي، أقصر لاعب في الملعب، في الهواء، وعلق نفسه في الفراغ للحظة بدت وكأنها دهر، ليضرب الكرة برأسه ويسكنها الشباك، قبل أن يسقط ويفقد حذاءه الذي قبله احتفالاً بالهدف التاريخي. حسم برشلونة اللقب، ووقف كريستيانو رونالدو في منتصف الملعب ينظر بحسرة، مدركاً أن التاج قد سلب منه.

في نهاية عام ألفين وتسعة، توج ليونيل ميسي بجائزة الكرة الذهبية لأول مرة في تاريخه بأغلبية ساحقة من الأصوات. وقف الفتى الخجول الذي كان مرضه أن ينهي مسيرته، ليحمل الذهب ويبتسم للعالم.

بهاتين الكرتين الذهبيتين المتتاليتين، اكتملت فصول الجزء الأول من القصة. لم يعد هناك أي نجم آخر في الصورة. لقد أعلن الأبطال قدومهم رسمياً، وبات العالم بأسره جاهزاً للمرحلة التالية والأكثر دموية وشراسة في تاريخ كرة القدم: الصدام المباشر وجهًا لوجه في إسبانيا، حيث ستشتعل حرب الكلاسيكو التي ستحرق الأخضر واليابس.

## الفصل الحادي عشر: ليلة في روما.. أول نهائي يجمع العمالقة

في السابع والعشرين من مايو لعام ألفين وتسعة، تحولت العاصمة الإيطالية روما إلى ساحة حرب كروية لا مثيل لها. ملعب "الأولمبيكو" العريق، الذي شهد قديما صراعات المجالدين الرومان حتى الموت، كان يستعد لاستضافة أعظم معركة في العصر الحديث. نهائي دوري أبطال أوروبا لم يكن مجرد لقاء بين ناديين عملاقين، مانشستر يونايتد وبرشلونة، بل كان أول صدام مباشر ومكشوف بين ملك متوج يسعى لحماية عرشه، وأمير متمرّد قادم لانتراع التاج بالقوة.

كان كريستيانو رونالدو يعيش حالة من الثقة المطلقة التي تقارب الغرور المحمود. كان فريقه هو حامل اللقب، وكان يسعى لتحقيق إنجاز لم يسبقه إليه أحد في النسخة الحديثة من البطولة: الفوز باللقب لعامين متتاليين. نزل البرتغالي إلى أرض الملعب وكأنه يمتلك المكان، صدره مشدود، ونظراته حادة كالصقر. في الدقائق العشر الأولى من المباراة، بدا وكأن رونالدو سيلتهم دفاعات برشلونة بمفرده؛ سدّد ركلة حرة صاروخية كادت أن تمزق الشباك، وتوغل في الأطراف مسببا حالة من الذعر في الخط الخلفي للفريق الكتالوني.

على الجانب الآخر، كان ليونيل ميسي يحمل عبئا نفسيا هائلا. الصحافة الإنجليزية كانت تشكك في قدرته على التألق أمام الفرق البدنية الشرسة، خاصة وأنه لم يسبق له أن سجل أي هدف في مرمى الأندية الإنجليزية طوال مسيرته حتى تلك اللحظة. لكن مدربه الشاب بييب جوارديولا كان يخبئ سلاحا سريا سيعيد تعريف خطط كرة القدم للأبد: "المهاجم الوهمي". طلب جوارديولا من ميسي ترك الجناح الأيمن والدخول إلى عمق الملعب، لسحب قلبي دفاع مانشستر يونايتد المرعبين، ريو فرديناند ونيمانيا فيديتش، وإرباك حساباتهما.

بعد مرور الدقائق العشر الأولى التي سيطر فيها الشياطين الأحمر، حدث التحول. هجمة مرتدة سريعة، الكاميروني صامويل إيتو يتلاعب بالدفاع ويسدد كرة ماهرة تسكن الشباك. هدف مفاجئ صب الماء البارد على حماس الإنجليز. ومن تلك اللحظة، استلم عباقرة خط الوسط، تشافي وإنيستا، عصا القيادة، وبدأت سيمفونية التميريرات التي أصابت لاعبي مانشستر بالدوار.

كان كريستيانو يركض في كل مكان، يطلب الكرة، يلوح بيده غاضبا من زملائه الذين فقدوا السيطرة على منتصف الملعب، لكن برشلونة كان قد فرض أسلوبه الاستحواذي الخائق. ومع مرور الوقت، بدأ اليأس يتسلل إلى قلب النجم البرتغالي الذي وجد نفسه معزولا ومحاطا بغابة من القمصان الكتالونية.

ثم جاءت الدقيقة السبعون، اللحظة التي توقف فيها الزمن واكتملت فيها أسطورة الفتى الأرجنتيني. انطلق تشافي هيرنانديز بالكرة على الرواق الأيمن، ورفع عينيه ليلمح ميسي يتسلل داخل منطقة الجزاء بين العمالقة الإنجليز. أرسل تشافي كرة عرضية مقوسة بدقة متناهية

هنا، حدث ما يخالف قوانين الفيزياء والطبيعة. ميسي، أقصر لاعب في الملعب، قفز في الهواء بتوقيت مثالي. بدا وكأنه تعلق في الفراغ للحظة، تاركا المدافع العملاق فرديناند تحته يتأمل المشهد بذهول. وجه ميسي الكرة بضربة رأسية متقنة وموجهة ببراعة لتسقط خلف الحارس الأسطوري إدوين فان دير سار الذي اكتفى بمشاهدتها وهي تعانق الشباك.

من شدة الارتقاء وقوة القفزة، سقط الحذاء من قدم ميسي اليمنى. نزل الفتى إلى الأرض، التقط حذاه بيده وركض نحو زاوية الملعب يقبله في احتفال أيقوني مجنون. لقد فعلها؛ حطم العقدة الإنجليزية، وسجل برأسه رغم قصر قامته، وحسم اللقب الأعلى لفريقه

أطلق الحكم صافرة النهاية، وانطلقت أفراح الكتالونيين في سماء روما. وقف ليونيل ميسي في منتصف الملعب، يبتسم بخجل وهو يتلقى عناق زملائه، مدركاً أنه قد أزاح ملك العالم عن كرسيه

في الجهة المقابلة، كان كريستيانو رونالدو يقف واضعاً يديه على خصره، ينظر إلى الأرض والغیظ يأكل قلبه. لم تكن مجرد خسارة لبطولة، بل كانت إعلاناً بتفوق مشروع برشلونة الجماعي بقيادة غريمه الأرجنتيني اللدود

في تلك الليلة الرومانية، أدرك كريستيانو حقيقة قاسية: مانشستر يونايتد العظيم لم يعد يكفي لمواجهة هذا الوحش الكتالوني الذي يتشكل. إذا كان يريد استعادة تاجه ومقارعة ميسي وجهاً لوجه، فعليه أن يذهب إلى المعقل الوحيد القادر على إعلان الحرب الشاملة على برشلونة. كان عليه أن يحزم حقائبه، ويغادر الأجواء الإنجليزية الباردة، متجهاً نحو شمس العاصمة الإسبانية، لتلبية نداء القلعة البيضاء الملكية التي كانت تنتظر وتنتظر منقذها

## الفصل الثاني عشر: انتقال تاريخي.. مدريد تستقبل القناص

كان صيف عام ألفين وتسعة يمثل كابوسا حقيقيا في أروقة النادي الملكي بالعاصمة الإسبانية. كان مشجعو ريال مدريد يراقبون بحسرة غريمهم التقليدي برشلونة وهو يكتسح الأخضر واليابس، محققا ثلاثية تاريخية تحت قيادة بيب جوارديولا، وتاركا خلفه دمارا في كبرياء القلعة البيضاء. احتاج "الميرينجي" إلى ثورة، إلى زلزال يعيد توازن القوى في إسبانيا، ولم يكن هناك رجل قادر على هندسة هذا الزلزال سوى فلورنتينو بيريز، العائد بقوة إلى كرسي الرئاسة حاملا مشروعا جديدا لجمع نجوم الأرض، أو ما عُرف بـ "الجلالتيكوس" الثاني.

أدرك بيريز أن إيقاف هيمنة برشلونة وسحر ليونيل ميسي لا يمكن أن يتحقق إلا بجلب اللاعب الوحيد على كوكب الأرض القادر على الوقوف ندا لند أمام الأرجنتيني. كان الهدف واضحا، وهو نفس الهدف الذي حاولت مدريد ضمه مرارا وتكرارا: كريستيانو رونالدو.

في إنجلترا، كان كريستيانو يشعر بأنه حقق كل ما يمكن تحقيقه مع مدربه الأسطوري السير أليكس فيرجسون. فاز بالدوري المحلي، ودوري أبطال أوروبا، والكرة الذهبية، لكن الخسارة الأخيرة في روما أمام برشلونة تركت جرحا غائرا في كبريائه. أدرك الفتى البرتغالي الطموح أن البقاء في إنجلترا لن يمنحه فرصة الانتقام المباشر، وأن عليه الانتقال إلى ساحة المعركة ذاتها ليواجه ميسي وجها لوجه في كل جولة، وفي كل أسبوع.

بعد مفاوضات ماراتونية وعروض مالية فلكية، رضخ مانشستر يونايتد أخيرا. وفي يونيو من عام ألفين وتسعة، أُعلن عن الصفقة التي زلزلت أركان كرة القدم: انتقال كريستيانو رونالدو إلى ريال مدريد في صفقة هي الأعلى في تاريخ اللعبة آنذاك، بلغت قيمتها أربعة وتسعين مليون يورو.

ودع كريستيانو "مسرح الأحلام" ومدربه الاسكتلندي بدموع العرفان، وحزم حقائبه متجها نحو شمس إسبانيا. لم يكن يعلم أن استقباله هناك سيتجاوز حدود الخيال الرياضي، ليصبح حدثا تاريخيا لا يُنسى.

في السادس من يوليو لعام ألفين وتسعة، فتح ملعب "سانتياجو برنابيو" الأسطوري أبوابه. لم تكن هناك مباراة، لم يكن هناك خصم، ومع ذلك، احتشد ثمانون ألف مشجع في المدرجات، في رقم قياسي غير مسبوق في تاريخ تقديم أي لاعب كرة قدم. الجماهير كانت تتسلق الأسوار وتتدافع في الشوارع المحيطة بالملعب لمجرد إلقاء نظرة على المنقذ الجديد.

وقف كريستيانو في النفق المؤدي للملعب، يتنفس بصعوبة من هول المشهد. كان يرتدي القميص الأبيض الناصع، ولأن الأسطورة الإسبانية راؤول جونزاليس كان لا يزال يحمل الرقم سبعة، ارتدى البرتغالي القميص رقم تسعة.

عندما صعد إلى المنصة، اهتز البرنابيو بهدير أصم الآذان. تقدم نحو الميكروفون، ونظر إلى بحر الجماهير الهادر أمامه. لم يلق خطابا طويلا، بل اكتفى بكلمات قليلة أشعلت حماس المدرجات، قبل أن يطلب من الجميع: "مشاركته في الصرخة الأيقونية: "واحد.. اثنان.. ثلاثة.. هلا مدريد

في تلك اللحظة، لم يكن ذلك مجرد تقديم لاعب جديد، بل كان إعلانا رسميا للحرب. انتقل كريستيانو إلى إسبانيا لم يغير فقط موازين القوى بين القطبين، بل غير مفهوم المنافسة في تاريخ الرياضة بأسره.

منذ ذلك اليوم، لم تعد الليجا الإسبانية مجرد بطولة محلية، بل تحولت إلى  
حلبة ملاكمة مفتوحة يتابعها مليارات البشر. لم يعد التنافس مقتصرًا على  
من سيفوز بلقب الدوري، بل امتد ليشمل كل تفصييلة صغيرة: من سيسجل  
أهدافًا أكثر؟ من سيصنع تمريرات حاسمة أكثر؟ من سيتألق في دوري  
الأبطال؟ ومن سيفوز بالكرة الذهبية في نهاية العام؟

أصبح العالم بأسره منقسماً بوضوح. الصحافة الكتالونية تتغنى بسحر  
ميسي وعبقريته الفطرية، والصحافة المدريدية تبرز قوة كريستيانو  
وإصراره الذي لا يقهر. التوقعات بلغت ذروتها، والأنفاس حُبست في انتظار  
أول صدام مباشر يجمعهما بقميصي الكلاسيكو. لكن قبل أن يلتقيا وجهاً  
لوجه، كان ميسي وفريقه برشلونة يسيطرون في صمت تاريخاً مرعباً، فصلاً  
من الهيمنة المطلقة التي ستجعل مهمة النجم البرتغالي تبدو وكأنها محاولة  
لإيقاف قطار مندفع بيدين عاريتين

## الفصل الثالث عشر: العصر الذهبي لبرشلونة وسداسية التاريخ

بينما كان غريمهم التقليدي في العاصمة يحتفل بتقديم نجمه البرتغالي الجديد، كان هناك في إقليم كتالونيا مدرب شاب هادئ يرتدي البذلة الأنيقة، ينسج خيوط واحدة من أعظم الحقبات الرياضية التي عرفتها البشرية. ببب جوارديولا، ابن النادي الذي يعرف أدق تفاصيله، لم يعتمد على جلب صفقات بملايين الدولارات، بل نظر إلى أكاديمية "لاماسيا" وقرر أن يغزو العالم بأبناء النادي. وفي قلب هذه المنظومة، كان يقف ليونيل ميسي

تحت قيادة جوارديولا، لم يعد ميسي مجرد جناح موهوب يراوغ على الأطراف، بل تحول إلى نقطة الارتكاز التي يدور حولها الكون الكتالوني بأكمله. منحه المدرب حرية مطلقة للتحرك في عمق الملعب، ليصبح "المهاجم الوهمي" الذي يربك كل الحسابات. بفضل هذا التكتيك، والتناغم السحري مع ثنائي خط الوسط تشافي هيرنانديز وأندريس إنيستا، تحول الفريق إلى آلة لا تقهر، فريق يمتلك الكرة وكأنها ملتصقة بأقدام لاعبيه، يخنق الخصوم ويمزق شباكهم بمتعة بصرية غير مسبوقة

عام ألفين وتسعة لم يكن مجرد عام ناجح في تاريخ النادي، بل كان إعجازا رياضيا بكل المقاييس. بدأ الأمر باكتساح الدوري الإسباني، ثم حصد كأس ملك إسبانيا، وتوج باللقب الأعلى، دوري أبطال أوروبا في العاصمة الإيطالية. لكن الآلة الكتالونية لم تتوقف عند هذا الحد. عاد الفريق في بداية الموسم الجديد ليخطف كأس السوبر الإسباني، ثم أتبعه بكأس السوبر الأوروبي، لتبقى خطوة واحدة تفصلهم عن إنجاز لم يسبق لأي فريق في التاريخ أن حققه: الفوز بالبطولات الست المتاحة في عام ميلادي واحد

في ديسمبر من ذلك العام المذهل، وفي العاصمة الإماراتية أبوظبي، أقيمت بطولة كأس العالم للأندية. وصل الرفاق الكتالونيون إلى المباراة النهائية ليواجهوا فريق "إستوديانتيس" الأرجنتيني العنيد. كانت المباراة معقدة وقاسية، وتأخر الفريق الإسباني في النتيجة حتى الدقائق الأخيرة قبل أن ينقذهم الشاب بيدرو رودريجز بهدف التعادل ليجر المباراة إلى الأشواط الإضافية.

وهناك، في الدقيقة المائة وعشرة، تجلت عبقرية الفتى الأرجنتيني في أبهى صورها. تلقى عرضية متقنة داخل منطقة الجزاء، وبدلاً من استخدام قدمه أو رأسه، قرر أن يسجل الهدف الأعلى بطريقة تعكس ارتباطه الوثيق بالنادي الذي أنقذ حياته يوماً ما. قفز ميسي في الهواء ووجه الكرة بـ "صدره".. وتحديداً فوق قلبه مباشرة، لتسكن الشباك. كان هذا الهدف "بمثابة الختم النهائي على عام "السداسية التاريخية

أطلق الحكم صافرة النهاية، وفي لقطة نادرة جداً، لم يتمالك المدرب الشاب بييب جوارديولا نفسه، وانفجر في البكاء على أرض الملعب، يمسح دموعه غير مصدق لما حققه فريقه من هيمنة مطلقة. لقد صعدوا إلى قمة جبل الأولمب الكروي، ورفع ميسي الكرة الذهبية الأولى له لتتوجها لهذا السحر الخالص.

في العاصمة مدريد، كان كريستيانو رونالدو يتابع هذا المشهد بعينين تلتهبان بالغضب والتحدي. أدرك البرتغالي أن خصمه لم يعد مجرد لاعب عبقرى، بل أصبح جزءاً من منظومة تعتبر الأعظم في التاريخ. كان الضغط الجماهيري والإعلامي على البرتغالي وفريقه الملكي قد وصل إلى حد الانفجار، وبات الجميع ينتظر بفارغ الصبر اللحظة التي سيصطدم فيها

الفارس الأبيض بالتنين الكتالوني. كانت الحرب الباردة قد انتهت، ودقت  
طبول الكلاسيكو لتعلن عن مواجهة ستوقف الأرض عن الدوران

## الفصل الرابع عشر: جوزيه مورينيو وبيب جوارديولا.. حرب المدربين

كان فلورنتينو بيريز، رئيس النادي الملكي، يراقب سداسية برشلونة التاريخية بمرارة لا توصف. لقد أنفق مئات الملايين لجلب أفضل لاعبي العالم، وعلى رأسهم كريستيانو رونالدو، لكنه أدرك متأخراً حقيقة مرعبة: جلب الجنود الأقوياء لا يكفي للانتصار في الحرب، إذا كان جيش العدو يقوده جنرال عبقرى مثل بيب جوارديولا. أدرك بيريز أن إيقاف الآلة الكتالونية يحتاج إلى أكثر من مجرد لاعب هدف؛ يحتاج إلى قائد محنك يجيد تدمير الخصوم نفسياً وتكتيكياً، مدرب لا يهاب أحداً ويتقن اللعب في الأجواء المسمومة.

في صيف عام ألفين وعشرة، توج المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو بلقب دوري أبطال أوروبا مع فريقه الإيطالي بطريقة ملحمية، والأهم من ذلك، أن تنويجه تم على أرضية ملعب "سانتياجو برنابيو" في العاصمة الإسبانية، بعد أن أقصى برشلونة وجوارديولا من نصف النهائي بخطة دفاعية حديدية وحرب أعصاب طاحنة. في تلك اللحظة، عرف بيريز أن هذا هو "الرجل المختار" لإسقاط الإمبراطورية الكتالونية.

بمجرد أن وطئت قدما مورينيو قلعة مدريد، انقسمت إسبانيا، بل والعالم الكروي بأسره، إلى معسكرين متناقضين تماماً. لم يسبق لتاريخ الرياضة أن شهد صداماً بين فلسفتين أبعد ما يكونان عن بعضهما البعض.

على الجانب الأول، يقف بيب جوارديولا؛ المدرب الهادئ، الأنيق، الفيلسوف الذي يقدر كرة القدم الهجومية، ويعتمد على أبناء الأكاديمية والاستحواذ المطلق على الكرة، جاعلاً من ليونيل ميسي مركزاً للكون الذي تدور حوله الكواكب الكتالونية. كان بيب بمثابة الأب الروحي لميسي، يحميه من

الضغوط، ويبتكر الخطط المعقدة فقط ليمنحه المساحة لكي يعزف  
سيمفونياته الساحرة

وعلى الجانب الآخر، يقف جوزيه مورينيو؛ المدرب المثير للجدل، ملك  
الحرب النفسية، والذي يؤمن بالواقعية والصلابة الدفاعية والتحويلات  
الهجومية الخاطفة. كان يعتبر كرة القدم حرباً لا تعترف بالمتعة بقدر ما  
تعترف بالانتصار. وفي كتيبته، وجد كريستيانو رونالدو ضالته. كان  
مورينيو ومواطنه رونالدو يشتركان في نفس العقلية المشتعلة، كلاهما  
يشعر بأنه يقف بمفرده في مواجهة عالم ظالم ينحاز لبرشلونة وميسي،  
وكلاهما يمتلك رغبة وحشية في سحق هذا التفوق الكتلوني

حرر مورينيو مواطنه كريستيانو من أي قيود تكتيكية خانقة أو مهام دفاعية  
مرهقة، وجعله رأس الحربة في هجماته المرتدة القاتلة. تحول البرتغالي  
تحت قيادة مواطنه إلى وحش كاسر ينهش شباك الخصوم، وتضاعفت  
أرقامه التهديفية بشكل مرعب. أصبح التناقض بين النجمين هو ذاته  
التناقض بين المدربين؛ عبقرية فطرية صامتة تلعب للفريق وتقودها فلسفة  
الجمال والاستحواذ، في مواجهة قوة بدنية جبارة وعزيمة حديدية تقودها  
تكتيكات واقعية لا ترحم وتلعب للهدف المباشر

قبل حتى أن يطلق الحكم صافرة أول مباراة كلاسيكو بينهما، كانت قاعات  
المؤتمرات الصحفية قد تحولت إلى ميادين رماية. بدأ مورينيو في إطلاق  
تصريحاته النارية، يقلل من إنجازات الحكام مع برشلونة، ويلمح بوجود  
مؤامرات خفية، محاولاً جر جوارديولا الهادئ إلى وحل المعارك الكلامية.  
شيئاً فشيئاً، بدأ التوتر يتسرب إلى أروقة الملاعب، واشتعلت العداوة بين  
لاعبي الفريقين الذين كانوا بالأمس القريب أصدقاء في المنتخب الوطني  
الإسباني

لم يعد الكلاسيكو مجرد مباراة كرة قدم بين فريقين يتنافسان على صدارة الدوري. بل تحول إلى صدام عقائدي، حرب أيديولوجية بين طريقتين مختلفتين في فهم الحياة وكرة القدم. العالم كله كان يضبط ساعاته، ويحبس أنفاسه، بانتظار اللحظة التي سيلتقي فيها القطار المدريدي المندفع بقيادة مورينيو ورونالدو، مع الجبل الكتالوني الراسخ بقيادة جوارديولا وميسي.

الشرارة انطلقت بالفعل، ويرميل البارود كان ينتظر عود ثقاب واحد فقط لينفجر في وجه الجميع، وهذا الانفجار كان موعده قد اقترب جداً في معقل الكتالونيين، ملعب الكامب نو

## الفصل الخامس عشر: كلاسيكو الأرض.. عندما تتوقف أنفاس العالم

في التاسع والعشرين من نوفمبر لعام ألفين وعشرة، لم تكن الشوارع في مدريد وبرشلونة وحدها هي التي فرغت من المارة، بل إن مقاهي العالم بأسره من طوكيو إلى بوينس آيرس امتلأت عن بكرة أبيها. كان كوكب الأرض يضبط ساعته على موعد معركة كروية لم يسبق لها مثيل. المدرب البرتغالي جوزيه مورينيو يدخل ملعب "كامب نو" معقلاً للكتالونيين، يقود كتيبة ملكية لم تتذوق طعم الهزيمة منذ بداية الموسم، وعلى رأسهم مواطنه الشرس كريستيانو رونالدو. في المقابل، كان الفيلسوف بيب جوارديولا وساحره الأرجنتيني ليونيل ميسي ينتظران في صمت، يجهزان فحاً تكتيكياً. سيدخل كتب التاريخ

أطلقت صافرة البداية، وتوقع العالم مواجهة متكافئة وحرباً تكتيكية معقدة، لكن ما حدث على المستطيل الأخضر كان أقرب إلى مذبحه كروية. لم يلجأ جوارديولا إلى الدفاع، بل قرر خنق غريمه باستحواذ مرعب وتمريرات قصيرة وسريعة أصابت لاعبي مدريد بالشلل

في تلك الليلة، لم يسجل ليونيل ميسي، لكنه قدم واحدة من أعظم العروض الفردية في صناعة اللعب. كان يتراجع إلى دائرة المنتصف، يسحب معه قلوب دفاع العاصمة، وبلسمات سحرية ودقيقة كان يرسل الكرات القاتلة لزملائه لضرب الخط الخلفي الممزق. في المقابل، بدا كريستيانو رونالدو معزولاً، يركض خلف الكرة بغضب واحباط متزايد، حتى أنه في لقطة شهيرة، فقد أعصابه وقام بدفع المدرب جوارديولا على خط التماس عندما تأخر الأخير في منحه الكرة، لتندلع مشاجرة كادت أن توقف المباراة

انتهت المواجهة بكارثة على الجانب المريدي؛ خمسة أهداف نظيفة في شباك الحارس إيكير كاسياس. وقف جيرارد بيكيه، المدافع الكتالوني، ورفع يده مفتوحة الأصابع الخمسة نحو المدرجات في إشارة أيقونية لـ "الخماسية". كانت ليلة سوداء في تاريخ النادي الملكي، وتلقى كريستيانو ومورينيو صفة أيقظتهما على حقيقة مرعبة: اللعب المفتوح أمام هذه النسخة من برشلونة هو انتحار صريح.

مرت الأشهر، وجاء ربيع عام ألفين وإحدى عشر ليحمل معه جنوناً كروياً لم تشهده اللعبة من قبل. القدر وضع العملاقين في مواجهة بعضهما البعض أربع مرات متتالية خلال ثمانية عشر يوماً فقط! مباراتان في نصف نهائي دوري أبطال أوروبا، ومباراة في الدوري المحلي، والمواجهة الأهم: نهائي كأس ملك إسبانيا. كانت تلك الأيام الثمانية عشر بمثابة حرب استنزاف نفسية وبدنية، حيث تحولت المؤتمرات الصحفية إلى ساحات للشتائم والاتهامات المتبادلة.

في العشرين من أبريل، التقى الفريقان في نهائي الكأس على ملعب "ميستايا". كان مورينيو قد استوعب درس الخماسية، فنزل إلى الملعب بخطة دفاعية حديدية، وحول المباراة إلى معركة بدنية طاحنة. التدخلات العنيفة، البطاقات الصفراء، والتوتر المشحون سيطروا على الأجواء. انتهى الوقت الأصلي بالتعادل السلبي، ولجأ الفريقان إلى الأشواط الإضافية وهما في قمة الإنهاك.

وفي الدقيقة المائة وثلاثة، حدثت اللحظة التي انتظرها نصف العالم. انطلق الجناح الأرجنتيني أنخيل دي ماريا من الرواق الأيسر وأرسل كرة عرضية عالية نحو منطقة جزاء برشلونة. هناك، حيث الجاذبية تبدو وكأنها قوانين قابلة للكسر، ارتقى كريستيانو رونالدو في الهواء. طار عالياً فوق

المدافعين، معلقاً في السماء للحظات، ووجه ضربة رأسية صاروخية حطمت الشباك الكتالونية. سقط رونالدو على الأرض ونهض صارخاً بجنون، محتفلاً بأول ألقابه مع القلعة البيضاء، وكاسراً عقدة برشلونة التي طالبتهم طويلاً. أثبت البرتغالي أنه قادر على لدغ منافسه في الأوقات القاتلة

لكن الرد الكتالوني لم يتأخر سوى أيام معدودة. في نصف نهائي دوري أبطال أوروبا، وداخل معقل المديرين ملعب "سانتياجو برنابيو"، التقى الفريقان مجدداً. كانت المباراة مشحونة بالغضب وتخللها طرد للمدافع البرتغالي بيبي. ومع النقص العددي، انقض ليونيل ميسي ليعيد الأمور إلى نصابها. سجل الهدف الأول، ثم جاءت الدقيقة السابعة والثمانون ليعزف مقطوعة موسيقية ستظل خالدة في أذهان المديرين قبل الكتالونيين

استلم ميسي الكرة بالقرب من منتصف الملعب، وانطلق وحيداً في مواجهة غابة من القمصان البيضاء. تخطى الأول، ثم راوغ الثاني، وأسقط الثالث بتمويه جسدي ساحر، وتجاوز الرابع، ثم انزلق ليركن الكرة بقدمه اليمنى في شبك الحارس كاسياس. وقف ملعب العاصمة في صمت جنائزي المطبق، بينما كان الفتى الأرجنتيني يركض نحو الزاوية محتفلاً بهدف يُعد من أعظم ما سُجل في تاريخ البطولة القارية، ممهداً الطريق لفريقه نحو النهائي الأوروبي وحصد اللقب من جديد

كانت تلك الأيام الثمانية عشر المليئة بالدماء والعرق والدموع هي الذروة الحقيقية لصراع العمالقة. تبادل الاثنان اللكمات الموجهة؛ رونالدو خطف الكأس برأسه الذهبية، وميسي رد باختراق تاريخي أسقط به القلعة البيضاء في دوري الأبطال. أدرك العالم كله حينها أن هذين اللاعبين لا يتنافسان فقط على الألقاب، بل يدفع كل منهما الآخر لكسر حدود القدرة البشرية، في

صراع سيستمر لسنوات طويلة قادمة، صراع لا يقبل القسمة، ولا يعرف  
معنى الهدنة

## الفصل السادس عشر: مونديال جنوب إفريقيا.. خيبات الأمل المونديالية

في صيف عام ألفين وعشرة، اتجهت بوصلة الساحرة المستديرة لأول مرة نحو القارة السمراء. تحت سماء جنوب إفريقيا، وعلى وقع أصوات أبواق "الفوفوزيلا" الصاخبة التي أصمت الآذان، كان العالم على موعد مع النسخة التاسعة عشرة من كأس العالم. في تلك البطولة، لم يعد ميسي ورونالدو مجرد مواهب شابة تحاول إثبات نفسها كما حدث في ألمانيا قبل أربع سنوات؛ بل دخلا البطولة وهما المتوجان بالكرات الذهبية، حاملتي آمال شعبيهما، والاسمين الأثقل وزناً في عالم كرة القدم.

في معسكر المنتخب الأرجنتيني، كانت هناك حالة من الجنون الرومانسي الكروي. ديبجو أرماندو مارادونا، إله كرة القدم الأرجنتينية والأسطورة الحية، يجلس على مقعد المدير الفني، يقود بنفسه وريثه الشرعي ليونيل ميسي. كانت الصورة شاعرية لأبعد الحدود: مارادونا يعانق ميسي، يهمس في أذنه، ويحاول نقل شعلة المجد الخالدة إليه. منح ديبجو الحرية المطلقة لميسي في الملعب، وجعله المحور الذي تدور حوله كل الهجمات.

بدأت الأرجنتين البطولة بأداء هجومى كاسح. كان ميسي يصنع الفرص، يراوغ، ويسدد من كل الزوايا، لكن شباك جنوب إفريقيا بدت وكأنها ملعونة بالنسبة له. حراس المرمى يتألقون تارة، والعارضة تتصدى تارة أخرى. فرغم أنه كان القلب النابض للفريق، إلا أن الكرة رفضت معانقة شبাকে.

استمرت نشوة التاجو حتى اصطدموا بالجدار الألماني الجليدي في الدور ربع النهائي. هناك، في مدينة كيب تاون، انهارت الرومانسية المارادونية أمام التكتيك والصلابة الألمانية. غاب التنظيم عن الأرجنتين، وعزل ميسي

تماماً بين غابة من المدافعين، لتتلقى الأرجنتين صفة تاريخية وخسارة  
مذلة برباعية نظيفة

بعد انطلاق صافرة النهاية، تجمد ميسي في مكانه، وعيناه غارقتان في  
الدموع. وفي غرفة تغيير الملابس، وسط صمت يشبه صمت المقابر، جلس  
الفتى الأرجنتيني في زاوية يبكي بحرقة شديدة، حتى أن مارادونا صرح  
لاحقاً: "من يقول إن ميسي لا يشعر بقميص الأرجنتين فهو غبي، لقد رأيت  
يبكي في غرفة الملابس كطفل فقد عائلته". غادر ميسي إفريقيا دون أن  
يسجل هدفاً واحداً، حاملاً ندبة موندiale جديدة تضاف إلى سابقتها

على الجانب الآخر، لم يكن الوضع أقل تعقيداً في المعسكر البرتغالي.  
كريستيانو رونالدو، الذي أصبح القائد الرسمي للمنتخب بعد اعتزال لويس  
فيجو والجيل الذهبي، كان يحمل عبئاً لا يطاق. كان يقود منتخباً يلعب  
بأسلوب دفاعي بحت تحت قيادة المدرب كارلوس كيروش

كان كريستيانو يعاني من صيام تهديفي دولي دام لسته عشر شهراً متتالية،  
وهو أمر لا يمكن تصديقه للاعب بحجمه. وفي مباراة دور المجموعات ضد  
كوريا الشمالية، والتي انتهت بفوز البرتغال بسباعية، كُسر النحس أخيراً  
بهدف طريف بعد أن سقطت الكرة على مؤخرة رأس كريستيانو قبل أن  
يسددها في الشباك، ليبتسم للمرة الأولى والأخيرة في تلك البطولة

في دور الستة عشر، اصطدمت البرتغال بإسبانيا، الجيل الذهبي الذي يضم  
زملاء ميسي في برشلونة. كانت مباراة معقدة ومغلقة، وكيروش فضل  
الدفاع المطلق متأملاً في هجمة مرتدة قد يصنعها كريستيانو بمفرده. لكن  
الماكينه الإسبانية سجلت هدفاً حاسماً عبر دافيد فيا، لتودع البرتغال  
البطولة

عند خروجه من أرض الملعب، كان الغضب يتطاير من عيني كريستيانو. اقترب منه أحد المصورين التلفزيونيين محاولاً التقاط ردة فعله، فما كان من رونالدو إلا أن بصق باتجاه الكاميرا في لقطة أثارت جدلاً واسعاً. وحين سأله الصحفيون في المنطقة المختلطة عن سبب الخسارة، رد بجملة واحدة مقتضبة وغاضبة: "اسألوا كيروش!"، في إشارة واضحة لاستيائه من الخط الدفاعية العقيمة التي كبته.

انتهى مونديال جنوب إفريقيا بتتويج إسبانيا باللقب، ليعود الثنائي ميسي ورونالدو إلى ديارهم بخفي حنين. لقد أثبتا أنهما وحشان كاسران مع أنديتهما في أوروبا، لكن قميص المنتخب الوطني كان لا يزال ثقيلاً، وكأس العالم لا تزال سراياً يبتعد كلما اقتربا منه. أدرك العمالقة أن المجد الفردي وتحطيم الأرقام القياسية مع الأندية لن يكتمل أبداً ما لم يتربع أحدهما على العرش المونديالي؛ وهو الحلم الذي سيبقى هاجساً يطاردهما لسنوات طويلة قادمة من الألم والانتظار.

## الفصل السابع عشر: آلة تسجيل لا تتوقف.. تحطيم الأرقام القياسية

بعد خيبات الأمل الموندبالية في جنوب إفريقيا، عاد العمالقة إلى الملاعب الإسبانية وهما يحملان غضبا دينا. كانا بحاجة إلى تفريغ هذه الشحنات السلبية، ولم يجدا طريقا لذلك سوى تمزيق شباك الخصوم بلا رحمة. في تلك الحقبة، وتحديدًا بداية من موسم ألفين وعشرة - ألفين وإحدى عشر، تغير مفهوم "الموسم الناجح" في عالم كرة القدم إلى الأبد.

قبل قدومهما، كان تسجيل المهاجم لخمسين أو عشرين هدفا في الموسم الواحد يعتبر إنجازا تاريخيا يضمن له جائزة الهدف وتصدر عناوين الصحف. لكن مع ميسي ورونالدو، تحولت هذه الأرقام إلى مجرد إحصاء. لقد رفعا سقف التوقعات لدرجة جعلت أرقام الأساطير السابقين تبدو وكأنها أرقام هواة.

تحت قيادة جوزيه مورينيو، تحول كريستيانو رونالدو من جناح استعراضى يميل إلى المهارة، إلى آلة تسجيل فتاكة تعيش داخل منطقة الجزاء. أصبح البرتغالي قنصا مرعبا، يجيد التسجيل بكل الطرق الممكنة؛ بالقدم اليمنى الصاروخية، باليسرى الدقيقة، وبرأسيات تتحدى الجاذبية. في ذلك الموسم، قرر رونالدو تحطيم الرقم القياسي الأسطوري لهدافي الدوري الإسباني، والذي كان مسجلا باسم الأسطورتين تيلمو زارا وهوجو سانشيز برصيد ثمانية وثلاثين هدفا.

انطلق البرتغالي كقطار فاقد للمكابح، وفي الجولة الأخيرة من الدوري، تخطى الرقم التاريخي مسجلا أربعين هدفا في موسم واحد، ليتوج بجائزة الحذاء الذهبى الأوروبي. وقف كريستيانو مبتسما، معتقدا أنه قد وضع رقما قياسيا سيصمد لعقود قادمة.

لكن الرد الكتالوني جاء سريعا ومدمرا. لم يكن ليونيل ميسي ليترك غريمه  
يهنا بجلوسه وحيدا على قمة الأرقام. في الموسم التالي مباشرة، ألفين  
وإحدى عشر - ألفين واثنى عشر، وصل النجم الأرجنتيني إلى ذروة التوهج  
والكمال الكروي في مركز المهاجم الوهمي. لم يكتفِ ميسي بكسر رقم  
رونالدو، بل سحقه تماما، مسجلا خمسين هدفا كاملا في موسم واحد من  
الدوري الإسباني، في إعجاز لم ولن يصدقه عقل.

الجنون لم يتوقف عند هذا الحد. كان الثنائي قد دخلا في سباق تسلح  
أسبوعي وضع الجماهير في حالة من الذهول المستمر. إذا لعب ريال مدريد  
يوم السبت وسجل رونالدو ثلاثة أهداف، يدخل ميسي أرض الملعب يوم  
الأحد وعينه تشتعلان، ولن يخرج قبل أن يسجل ثلاثية مماثلة أو رباعية.  
لم يعد التنافس بين فريقين، بل أصبح صراعا مباشرا على كل شبر وكل  
هدف. أصبحت مشاهدة أحدهما يسجل هدفين في مباراة واحدة خيرا عاديا لا  
يستحق أكثر من مساحة صغيرة في الصحف، فقد اعتدنا على المعجزات  
حتى باتت روتينية.

وجاء عام ألفين واثنى عشر ليحمل معه الرقم الأسطوري الأعظم. كان  
الأسطورة الألمانية جيرد مولر يحتفظ بالرقم القياسي لأكبر عدد من الأهداف  
المسجلة في عام ميلادي واحد برصيد خمسة وثمانين هدفا، وهو رقم صمد  
لأربعة عقود كاملة وبدا مستحيلا على الكسر. لكن الفتى الأرجنتيني كان له  
رأي آخر.

بدأ ميسي في هز الشباك في يناير ولم يتوقف حتى ديسمبر. كان يسجل في  
الدوري، في الكأس، في دوري أبطال أوروبا، ومع المنتخب الأرجنتيني.  
الجماهير كانت تعد الأهداف بدلا من الأيام. ومع حلول نهاية العام، لم يحطم

ميسي رقم مولى فحسب، بل تجاوزه ليصل إلى رقم خرافي لا يستوعبه العقل البشري: واحد وتسعون هدفا في عام واحد! رقم جعل الخبراء والمحليلين يقفون عاجزين عن إيجاد كلمات تصف هذه الظاهرة.

في المقابل، كان رونالدو يرد بأرقام استثنائية أخرى. أصبح أسرع لاعب في تاريخ ريال مدريد يصل إلى مائة هدف، محطما أرقام أساطير النادي الملكي كباشكاش ودي ستيفانو. كان يسجل في ست مباريات كلاسيكو متتالية، متحديا حصون الكامب نو التي كانت تبدو منيعة.

لقد توقف العالم عن مقارنتهما باللاعبين المعاصرين لهما. اختفت أسماء النجوم الآخرين في إسبانيا وأوروبا من حسابات الهدفين، وبات الصراع محصورا بين كائنين فضائيين قررا أن يهبطا على كوكب الأرض ليكتبا تاريخا جديدا. كان هذا السباق التهديفي المجنون هو الوقود الذي أشعل سباقا آخر أكثر شراسة ولمعانا، سباقا يقام كل شتاء في مدينة زيورخ السويسرية، حيث تتحول الأهداف الخيالية إلى كرات من الذهب الخالص

## الفصل الثامن عشر: رأسيات تتحدى الجاذبية ومراوغات تسقط المدافعين

لم يعد الصراع بينهما مجرد سباق مجنون لجمع الأهداف وكسر الأرقام القياسية، بل تحول إلى معرض فني يعرض مدرستين متناقضتين تماما في كيفية الوصول إلى الكمال الكروي. مع مرور السنوات في الملاعب الإسبانية، بدأ كل منهما يطور سلاحه الخاص، سلاحا يحمل بصمته الوراثية الكروية ولا يمكن لأي لاعب آخر على وجه الأرض تقليده.

على الجانب المديدي، أدرك كريستيانو رونالدو أن السرعة الفائقة التي تميز بها في شبابه لن تدوم للأبد، فقرر تحويل جسده إلى آلة حيوية لا تعرف الرحمة. أمضى البرتغالي آلاف الساعات داخل الصالات الرياضية، يدرس حركية جسده وكيفية استغلال كل عضلة للوصول إلى أقصى طاقة ممكنة. النتيجة كانت ولادة السلاح الأكثر رعبا في العصر الحديث: الارتقاء الخرافي والرأسيات التي تتحدى قوانين الفيزياء والجاذبية.

لم يكن كريستيانو يقفز لضرب الكرة، بل كان يطير. كان يمتلك قدرة مذهلة على توليد قوة دفع هائلة من فخذه، ترتفع به في الهواء لمسافات تتجاوز المترين ونصف المتر. والأكثر إربابا لم يكن ارتفاع القفزة فحسب، بل قدرته على التعلق في الهواء لأجزاء من الثانية، وكأنه يضغط على زر الإيقاف المؤقت للزمن، بينما يسقط المدافعون من حوله استسلاما للجاذبية.

في إحدى ليالي دوري أبطال أوروبا، التقى ريال مدريد بفريق مانشستر يونايتد. انطلق الجناح الأرجنتيني أنخيل دي ماريا وأرسل كرة عرضية عالية. هناك، ارتقى كريستيانو في الهواء بطريقة جعلت المدافع الفرنسي المخضرم باتريس إيفرا يبدو وكأنه قزم يقف بجواره. ركبتا كريستيانو كانتا في مستوى رأس المدافع! ضرب الكرة برأسه بقوة مدفعية لتسكن الشباك،

في لقطة جعلت مدربه السابق، السير أليكس فيرجسون، يعترف بعد المباراة قائلاً: "لقد وبخت المدافع في البداية لعدم قفزه، ثم شاهدت الإعادة،". "وشعرت بالخجل من نفسي. ما فعله هذا الفتى لا يفعله البشر".

وعلى النقيض تماما، في الإقليم الكتالوني، كان ليونيل ميسي يرفض مقاتلة المدافعين في الهواء، مفضلا تدميرهم على الأرض. لم يكن الأرجنتيني يمتلك عضلات مفتولة أو طولاً فارعا، لكنه كان يمتلك مركز ثقل منخفض يجعله ملتصقا بالأرض كالزئبق، وقدم يسرى تبدو وكأنها تحتوي على مغناطيس يجذب الكرة المكسوة بالجلد.

سلاح ميسي الفتاك كان "المراوغة المجهرية". كان يركض بالكرة في مساحات ضيقة جدا، ويلمسات خفيفة وسريعة لا تكاد ترى بالعين المجردة، يغير اتجاهه في جزء من الثانية. لم يكن يعتمد على الحركات الاستعراضية، بل على تمويه جسدي قاتل؛ يسقط كتفه الأيمن فيندفع المدافع بكامل ثقله نحو اليمين، وفي ذات اللحظة يكون ميسي قد سحب الكرة بيسراه وانطلق نحو اليسار، تاركا المدافع يترنح ويسقط على الأرض كشجرة مقطوعة.

هذا السلاح تجلى في أبهى وأقصى صورته في نصف نهائي دوري أبطال أوروبا أمام الفريق البافاري الألماني. كان المدافع الألماني العملاق جيروم بوتينج يقف سدا منيعا أمام ميسي. تقدم الأرجنتيني بالكرة نحو منطقة الجزاء، وبحركة تمويه واحدة، سريعة وصامتة كسم الأفعى، أوهم المدافع بأنه سيسدد بيسراه، ثم سحب الكرة ليمينه. انهار جسد المدافع الألماني الضخم وسقط على ظهره بطريقة مهينة ومؤلمة، ليمر ميسي من فوقه ويسقط الكرة ببراعة فوق الحارس العملاق مانويل نوير. لقطة سقوط بوتينج تحولت إلى أيقونة عالمية تلخص معنى العجز البشري أمام العبقرية الفطرية.

كانت الملاعب الإسبانية والأوروبية مسرحا لهذا التناقض البديع. كريستيانو يدمر الدفاعات بالقوة الغاشمة والقفزات التي تلامس الغيوم، محولا الكرات العرضية الميتهة إلى أهداف محققة. وميسي يمزق الخطوط بالانسيابية والركض بالكرة بين أقدام المدافعين، محولا المساحات المغلقة إلى شوارع مفتوحة نحو المرمى.

لم يعد المدافعون يعرفون كيف يواجهون هذه الكوارث. إذا راقبت كريستيانو في الهواء، سحقت بقوته البدنية وضرب الكرة قبل أن تصل إليها، وإذا حاولت الانقضاض على ميسي في الأرض، تلاعب بتوازنك وتركك تسقط لتبحث عن كرامتك المفقودة. كانا يعزفان لحنين مختلفين تماما، قوة الآلة في مواجهة سحر الطبيعة، وكل لحن منهما كان يقود إلى نتيجة واحدة حتمية: الكرة في الشباك، والخصم على الأرض، والعالم يقف مصفقا

## الفصل التاسع عشر: سباق الكرات الذهبية.. احتكار الثنائي

في شهر يناير من كل عام، كانت مدينة زيورخ السويسرية، المشهورة بهدونها وبرودتها وجبالها المغطاة بالثلوج، تتحول إلى ساحة لأكثر المعارك الرياضية سخونة وبريقاً. هناك، داخل قاعة "كونجرس هاوس" الفخمة، لم تكن تلعب مباراة بكرة قدم حقيقية، بل كانت تُلعب مباراة من نوع آخر؛ مباراة تحدد من هو الملك المتوج على عرش كوكب الأرض. جائزة "الكرة الذهبية" (البالون دور)، التي كانت تاريخياً تنتقل بين أساطير مختلفين كل عام، تحولت بفضل ميسي ورونالدو إلى ملكية خاصة، وصك احتكار ثنائي. لا يُسمح لأي بشري آخر بالاقتراب منه.

بدأت قصة الاحتكار حين توج رونالدو بنسخة ألفين وثمانية، ثم رد ميسي في ألفين وتسعة. ولكن ما حدث بعد ذلك لم يكن متوقعاً. انطلق الفتى الأرجنتيني بسرعة الضوء ليحصد الجائزة في ألفين وعشرة، ثم ألفين وإحدى عشر، ثم ألفين واثنى عشر. أربع كرات ذهبية متتالية في رقم. إعجازي لم يسبقه إليه أحد في تاريخ اللعبة.

كان ميسي يصعد إلى المنصة كل عام، مرتدياً بدلاته ذات التصاميم الغريبة والألوان الجريئة، يبتسم بخجل ويستلم الكرة الذهبية وكأنها روتين سنوي معتاد. وفي الصف الأول من الحضور، كانت الكاميرات دائماً ما تتوجه نحو وجه واحد: كريستيانو رونالدو. كان البرتغالي يجلس هناك بكامل أناقته، يصفق بهدوء، لكن نظراته كانت تفضح غلياناً داخلياً لا يهدأ. رؤية غريمه التقليدي يوسع الفارق إلى أربعة مقابل واحد كانت بمثابة طعنات متتالية في كبرياء البرتغالي الذي لا يقبل بالمركز الثاني أبداً.

اعتقد العالم أن السباق قد حُسم، وأن ميسي قد غرد وحيداً خارج السرب، خاصة في خضم سيطرة برشلونة المطلقة. لكنهم لم يدركوا حجم الوحش الذي استيقظ داخل رونالدو. زاد من اشتعال هذا الوحش تصريح ساخر من رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم آنذاك، جوزيف بلاتر، الذي سخر من رونالدو واصفاً إياه بـ "القائد العسكري في الملعب الذي ينفق أموالاً أكثر". على تصنيف شعره مقارنة بميسي الفتى الطيب

كانت تلك الكلمات هي الشرارة التي فجرت البركان. رد رونالدو في الملعب بتحطيم شباك الخصوم، وقدم عاماً أسطورياً في ألفين وثلاثة عشر. وفي حفل الكرة الذهبية لذلك العام، وبعد انتظار دام خمس سنوات عجاف، نُطق اسم كريستيانو رونالدو كأفضل لاعب في العالم.

صعد البرتغالي إلى المنصة، وما إن تسلم الجائزة حتى انهار باكياً في مشهد أذهل العالم. صعد ابنه الصغير ليقف بجواره، بينما كان كريستيانو يمسح دموعه غير قادر على إلقاء خطابه من شدة التأثر. لم تكن مجرد دموع فرح بجائزة، بل كانت دموع الانفراج بعد ضغط نفسي رهيب، ودموع الانتصار في معركة ظن الجميع أنه خسرها.

في العام التالي (ألفين وأربعة عشر)، عاد كريستيانو ليحصد الجائزة مجدداً، واحتفل على المنصة بصرخته الشهيرة "سوووو" التي أرعبت الحاضرين. وأصبحت علامته التجارية. تقلص الفارق، واشتعل السباق من جديد.

رد ميسي بكرته الذهبية الخامسة في ألفين وخمسة عشر بعد قيادته برشلونة لثلاثية تاريخية أخرى، ليعتقد الكتالونيون أن الأرجنتيني قد أطلق رصاصة الرحمة على السباق. لكن رونالدو، المحارب الذي لا يعرف

الاستسلام، عاد بعزيمة فولاذية، وحصد الجائزة في ألفين وستة عشر، ثم في ألفين وسبعة عشر.

في حفل ألفين وسبعة عشر، وفي العاصمة الفرنسية باريس، التقطت صورة لكريستيانو وهو يقف أمام برج إيفل حاملاً كرتة الذهبية الخامسة. لقد فعل المستحيل، عاد من بعيد ليعادل الكفة: خمس كرات ذهبية لميسي، وخمس كرات ذهبية لرونالدو. تعادل مطلق على قمة جبل الأولمب الكروي.

هذا السباق المحموم كان له ضحاياه. جيل كامل من العباقرة والأساطير وجدوا أنفسهم مجرد "كومبارس" في فيلم ميسي ورونالدو. تشافي هيرنانديز وأندريس إنيستا اللذان حققا كأس العالم وكل شيء ممكن في اللعبة، ويسلي سنايدر الذي قاد إنتر لثلاثية وهولندا لنهائي المونديال، فرانك ريبيري الذي أكل الأخضر واليابس مع بايرن ميونخ، والحارس العملاق مانويل نوير. كل هؤلاء وقفوا على المنصة كـ "أفضل البشر"، يصفقون في المركز الثالث، بينما تقاسم "الفضائيان" المركزين الأول والثاني لعقد كامل دون انقطاع.

لم تعد الكرة الذهبية مجرد جائزة فردية تُمنح في نهاية العام، بل أصبحت المحرك الرئيسي لكل مباراة، لكل تسديدة، ولكل هدف. كانا يتنافسان هذه المنافسة، يعلمان جيداً أن أي عثرة في يوم الأحد، سيستغلها الآخر يوم الأربعاء ليخطف خطوة في سباق الذهب. هذا الاحتكار لم يكن مجرد صدفة رياضية، بل كان نتاجاً لالتزام مرعب ورغبة مجنونة في عدم التنازل عن القمة، مما مهد الطريق للمرحلة الأكثر شراسة: السيطرة الإسبانية المطلقة على القارة العجوز، والتي ستكون مسرحاً للفصل القادم

## الفصل العشرون: معارك دوري الأبطال.. السيطرة الإسبانية المطلقة

لم يكن الصراع الفردي الشرس بين ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو ليقتصر على حدود شبه الجزيرة الأيبيرية وملاعب الدوري الإسباني، بل امتد ليلقي بظلاله الثقيلة والمخيفة على القارة العجوز بأكملها. بفضل هذا السباق المحموم نحو الكمال الكروي، تحول فريقا برشلونة وريال مدريد من مجرد ناديين عملاقين إلى "وحشين كاسرين" يلتهمان كل من يجروا على الوقوف في طريقهما نحو المجد القاري.

في السنوات التي سبقت وصول كريستيانو إلى مدريد وتوهج ميسي المطلق في برشلونة، كانت الأندية الإنجليزية والإيطالية تتبادل الأدوار في السيطرة على دوري أبطال أوروبا. لكن مع بداية العقد الثاني من الألفية الجديدة، تغيرت خارطة القوى تماماً. أصبحت بطولة دوري الأبطال تُعرف بـ "البطولة الإسبانية"، وأصبح مجرد وصول أي فريق أوروبي عملاق، سواء كان بايرن ميونخ، يوفنتوس، أو مانشستر يونايتد، إلى الكامب نو أو السانتياجو برنابيو، بمثابة كابوس تكتيكي وبدني مرعب.

كان ليونيل ميسي يعتبر ليالي دوري الأبطال مسرحه المفضل لنثر سحره الخاص. لم تكن الأندية الكبرى في أوروبا تملك أي إجابة أو ترياق لإيقاف المهاجم الوهمي الكتالوني. في مارس من عام ألفين واثنى عشر، وفي ليلة أوروبية باردة ضد فريق باير ليفركوزن الألماني، قرر ميسي أن يعيد كتابة تاريخ البطولة. سجل هدفاً، ثم ثانياً، ثم ثالثاً، ولم يتوقف حتى أودع الكرة في الشباك الألمانية خمس مرات في مباراة واحدة! ليصبح أول لاعب في تاريخ النسخة الحديثة من دوري الأبطال يحقق هذا الإنجاز. كان يتلاعب بالدفاعات الإنجليزية والإيطالية والألمانية ببرود قاتل، محولاً خطط المدربين المعقدة إلى مجرد حبر على ورق.

في العاصمة الإسبانية، كان الوضع أكثر صخباً ورعباً. أدرك كريستيانو رونالدو أن دوري أبطال أوروبا ليس مجرد بطولة، بل هو "الحمض النووي" لريال مدريد، والبطولة التي تقاس بها عظمة اللاعبين في النادي الملكي. تحول البرتغالي إلى سيد دوري الأبطال كانت صافرة البداية وموسيقى البطولة الشهيرة تعملان كتعويذة توظف الوحش النائم بداخله

في موسم ألفين وثلاثة عشر - ألفين وأربعة عشر، قرر رونالدو أن يكسر كل الحدود المنطقية. كان الرقم القياسي لعدد الأهداف المسجلة في موسم واحد من دوري الأبطال هو أربعة عشر هدفاً (مسجلاً باسم ميسي وخوسيه ألتافيني). لكن رونالدو اجتاح القارة كإعصار مدمر، مسجلاً في دور المجموعات، وفي ثمن النهائي، وربع النهائي، وحتى في نصف النهائي الذي أذل فيه بايرن ميونخ على أرضه. أنهى البرتغالي ذلك الموسم برقم أسطوري مجنون: سبعة عشر هدفاً في نسخة واحدة! رقم جعل المحليين يوقنون بأنه سيظل صامداً لعقود طويلة.

بات من المعتاد والمألوف أن تجد برشلونة وريال مدريد في الدور نصف النهائي كل عام. كانت أندية أوروبا الكبرى ترتعد عند إجراء قرعة الأدوار الإقصائية، وتدعو ألا تقع في مسار القطبين الإسبانين. لقد احتكرا صدارة الهذافين في البطولة القارية لمواسم متتالية، وأصبحا أول لاعبين في التاريخ يكسران حاجز المائة هدف في أعرق بطولات الأندية على الإطلاق.

من المفارقات القدرية العجيبة في تلك الحقبة، ورغم هيمنتها المطلقة وتواجههما الدائم في الأدوار النهائية، أن العالم لم يشهد أبداً "كلاسيكو" في المباراة النهائية لدوري الأبطال. كان الكوكب بأسره ينتظر تلك اللحظة التي سيتواجه فيها ميسي ورونالدو وجهاً لوجه في ليلة التتويج الأوروبية، لكن الأقدار كانت تتدخل في اللحظات الأخيرة لتؤجل هذا الصدام الملحمي، إما

بـخروج أحدهما بشق الأنفس في نصف النهائي، أو بإقصاء درامي غير متوقع.

لقد غير هذا الثنائي شكل كرة القدم الأوروبية إلى الأبد. لم يعد يكفي أن تكون فريقاً منظماً وممتازاً تكتيكياً لتفوز بدوري الأبطال، بل كان عليك أن تجد طريقة لإيقاف كائنين فضائيين يمتلكان القدرة على تغيير نتيجة أي مباراة في ثانية واحدة. ومع وصول السيطرة الإسبانية إلى ذروتها، كانت مدريد تغلي وتستعد للانفجار من أجل هوسها التاريخي بـ "العاشرة"، بينما كانت كتالونيا تجهز في الخفاء سلاحاً هجومياً ثلاثي الأبعاد سيجعل من ميسي جزءاً من أكثر خطوط الهجوم فتكاً وإرهاباً في تاريخ اللعبة

## الفصل الحادي والعشرون: العاشرة لمدريد.. بداية الهيمنة الأوروبية

منذ عام ألفين واثنين، وهدف زين الدين زيدان الأسطوري في شباك باير ليفركوزن، دخل نادي ريال مدريد في دوامة مظلمة من الفشل الأوروبي. "العاشرة" لم تعد مجرد بطولة يطمح النادي لتحقيقها، بل تحولت إلى هوس مرضي، وعقدة نفسية، وشبح يطارد كل رئيس، ومدرّب، ولاعب يظأ عشب "سانتياجو برنابيو". أنفقت مئات الملايين، وتغيرت أجهزة فنية لا حصر لها، وبقيت الخزانة الملكية تفتقد للكأس ذات الأذنين الكبيرتين للمرة العاشرة في تاريخ النادي.

عندما وصل كريستيانو رونالدو في عام ألفين وتسعة، كان يدرك تماماً أن مهمته الكبرى ومبرر قيمته الفلكية يتمثل في فك هذه اللعنة. ومع حلول موسم ألفين وثلاثة عشر - ألفين وأربعة عشر، تحت قيادة المدرب الإيطالي الهادي كارلو أنشيلوتي، بدا أن القطع قد تجمعت أخيراً، وأن الوحش البرتغالي قد وصل إلى قمة نضجه الكروي لقيادة هذه المهمة المقدسة.

طريق مدريد نحو النهائي كان أشبه بمسيرة جيش غازٍ لا يرحم، وكريستيانو كان رأس الحربة المطلق. دمر شالكه، وعبر بوروسيا دورتموند، ثم جاءت الملحمة الكبرى في نصف النهائي أمام بايرن ميونخ، الذي كان يقوده غريمه القديم بييب جوارديولا. في ملعب "أليانز أرينا" بميونخ، لقن ريال مدريد الفريق البافاري درساً قاسياً بأربعة أهداف نظيفة. سجل كريستيانو هدفين في تلك الليلة، محطماً الرقم القياسي التاريخي لعدد الأهداف في نسخة واحدة من دوري الأبطال. احتفل رونالدو فاتحاً كفي يديه ليظهر الرقم "15"، قبل أن ينهي البطولة برصيد سبعة عشر هدفاً، في رقم إعجازي ما زال صامداً حتى يومنا هذا.

كانت الأقدار قد رتبت مسرحاً درامياً مثالياً للنهائي في الرابع والعشرين من مايو لعام ألفين وأربعة عشر. المباراة ستقام في مدينة لشبونة البرتغالية، موطن كريستيانو وأرض بداياته. أما الخصم، فلم يكن سوى الجار اللدود والعدو الشرس، أتلتيكو مدريد، بقيادة المحارب الأرجنتيني دييجو سيميوني، الذي بنى فريقاً يلعب بخشونة وقتالية لا مثيل لها.

بدأت المباراة النهائية، وسرعان ما تحولت إلى كابوس للمدريديين. خطأ فادح من الحارس الأسطوري إيكر كاسياس سمح لمدافع أتلتيكو، دييجو جودين، بتسجيل هدف التقدم. تراجع أتلتيكو للوراء، وبنى جداراً بشرياً أمام مرماه. حاول كريستيانو بكل الطرق؛ سدد من بعيد، حاول الارتقاء للرأسيات، لكن دفاع "الروخييلانكوس" كان مستميتاً.

مرت الدقائق ثقيلة كالجبال. الدقيقة الثمانون، الخامسة والثمانون، والتسعون. بدأت جماهير ريال مدريد في المدرجات تبكي بحرقة، بينما كانت دكة بدلاء أتلتيكو تستعد للاحتفال بأول لقب دوري أبطال في تاريخهم. "لعنة العاشرة" كانت على وشك أن تضرب من جديد بأقسى طريقة ممكنة.

ولكن، في الدقيقة الثانية والتسعين وثمانية وأربعين ثانية (92:48)، توقف الزمن في العاصمة البرتغالية. ركلة ركنية نفذها لوكا مودريتش، ارتقى لها سيرجيو راموس برأسية ذهبية سكنت الشباك، لتنفجر المدرجات البيضاء، ويُسحب ريال مدريد من حافة الهاوية.

مع دخول الأشواط الإضافية، انهار أتلتيكو مدريد بدنياً ونفسياً بالكامل. سجل جاريت بيل الهدف الثاني، ثم أضاف مارسيلو الثالث. وفي الدقائق الأخيرة، انطلق كريستيانو رونالدو وتعرض لعرقلة داخل منطقة الجزاء ليحصل على ركلة جزاء.

تقدم البرتغالي وسدها بنجاح في الشباك. لم يكن هذا الهدف هو هدف الفوز، ولم يكن الأصعب فنياً، لكنه كان هدف "الخلاص". ركض كريستيانو نحو زاوية الملعب، خلع قميصه، ووقف مستعرضاً عضلاته المفتولة أمام العالم أجمع في صرخة مدوية اخترقت سماء لشبونة. كانت تلك الصرخة تفرغاً لضغط استمر اثني عشر عاماً على النادي، وخمس سنوات من المطاردة الشخصية لرونالدو لتحقيق هذا المجد بالقميص الأبيض.

رُفعت "العاشرة" أخيراً، وتوج كريستيانو رونالدو ملكاً لأوروبا في عقر داره. بدا ريال مدريد وكأنه كسر الحاجز النفسي الذي كان يعيقه، معلناً عن بداية حقبة هيمنة مرعبة على القارة العجوز.

لكن، وفي خضم هذه الأفراح المدريدية الصاخبة، كان هناك هدوء مريب في إقليم كتالونيا. ليونيل ميسي لم يكن يشاهد تتويج غريمه مكتوف الأيدي. كانت إدارة برشلونة قد جلبت له صديقين جديدين من أمريكا الجنوبية، أحدهما برازيلي راقص والآخر أوروغوياني قناص، لتكوين أشرس تحالف هجومي عرفته كرة القدم، تحالف أطلق عليه العالم اسماً مرعباً مكوناً من ثلاثة أحرف سيحرق الأخضر واليابس قريباً.

## الفصل الثانی والعشرون: الثلاثية الهجومية.. الرعب فى كاتالونيا ومدرید

لم يقف رد الفعل الكاتالوني على تنويع الغريم المدریدی بالبطولة الأوروبية العاشرة عند حدود تغيير المدربین أو تعديل الخطط، بل كان الرد عبارة عن "سباق تسلح" هجومي لم يشهد تاریخ الساحرة المستديرة مثيلا له. أدركت إدارة برشلونة أن ليونيل ميسي، رغم عبقريته الخارقة، لا يمكنه أن يقاتل جيوش مدرید بمفرده إلى الأبد، خاصة مع تقدم نجوم الجيل الذهبي في العمر. كان لا بد من إحاطة الملك بحرس شخصي من نوع خاص، حرس لا يدافع، بل يهاجم ويدمر.

في صيف عام ألفين وثلاثة عشر، استقطب برشلونة جوهرة البرازيل الساحرة، الفتى الذي يرقص بالكرة "نيمار دا سيلفا". وفي العام التالي، أضافوا القطعة الأخيرة والأكثر شراسة ودموية إلى الأحجية؛ القناص الأوروغواياني "لويس سواريز". هكذا، ومن قلب قارة أمريكا الجنوبية، تشكل أشرس خط هجومي عرفته كرة القدم. ثلاثة قادة لمنتخبات الأرجنتين والبرازيل والأوروغواي، اجتمعوا في فريق واحد، متناسين كل العداوات التاريخية بين بلدانهم، ليصنعوا آلة دمار كاتالونية.

على الجانب الآخر في العاصمة مدرید، لم يكن فلورنتينو بيريز ليقف متفرجا. كان قد أسس بالفعل ثلاثيه المرعب الخاص. فبجانب الآلة البرتغالية كريستيانو رونالدو، كان يتواجد المهاجم الفرنسي الهادئ والذكي "كريم بنزيما"، وفي عام ألفين وثلاثة عشر، حطم ريال مدرید الرقم القياسي "في سوق الانتقالات ليجلب "القطار الويلزي" السريع "جاريث بيل

تحول الصراع من "ميسي ضد رونالدو" إلى حرب عصابات هجومية؛  
"الثلاثي اللاتيني" في برشلونة وجها لوجه ضد "ثلاثي العاصمة" المندفع  
في ريال مدريد.

كان التناقض بين الخطين الهجوميين مذهلا، وكأنه يعكس شخصية الناديين  
بدقة متناهية. ثلاثي مدريد كان يمثل "القوة الغاشمة والسرعة القصوى".  
عندما يقطع دفاع ريال مدريد الكرة، يحتاجون إلى ثلاث ثوان فقط للوصول  
إلى مرمى الخصم. جاريت بيل يركض كحصان بري على اليمين، كريستيانو  
ينقض كالصقر من اليسار، وبنزيما يربط الخطوط بذكاء شديد لتفريغ  
المساحات للبرتغالي. كان هجوما مباشرا، حادا كالسيف، لا يرحم المساحات  
ولا يعترف بالاستحواد السلبي.

أما الثلاثي الكتالوني اللاتيني، فكان يمثل "السحر والانسياوية المطلقة".  
ميسي تراجع قليلا إلى الخلف ليصبح صانع الألعاب والمايسترو، نيمار  
يتلاعب بالمدافعين على الجناح الأيسر بمهارات الشوارع البرازيلية،  
وسواريز يقاتل على كل كرة داخل منطقة الجزاء كوحش جائع. ما ميز هذا  
الثلاثي هو الصداقة العميقة التي نشأت بينهم خارج الملعب، والتي تُرجمت  
إلى تجرد تام من الأنانية داخله. ميسي يتنازل عن ركلات الجزاء لنيمار  
ليرفع معنوياته، وسواريز يمرر لميسي أمام الشباك الخالية.

أصبحت مباريات الدوري الإسباني بمثابة مجازر أسبوعية لباقي الأندية. لم  
يعد السؤال هو: هل سيفوز برشلونة أو ريال مدريد؟ بل أصبح: كم عدد  
الأهداف التي سيتلقاها الخصم الليلة؟ تسجيل مائة هدف في الموسم كفريق  
كان إنجازا، لكن أن يسجل "ثلاثة لاعبين فقط" أكثر من مائة وعشرين هدفا  
في موسم واحد، فهذا كان ضربا من الجنون الخالص.

في هذا الصراع الثلاثي، اضطر ميسي ورونالدو لإعادة ابتكار نفسيهما. أدرك ميسي أنه لم يعد مطالباً بتسجيل خمسين هدفاً بمفرده، فبات يستمتع بصناعة اللعب وضرب الخطوط بتمريرات سحرية تضع زملائه وجهاً لوجه مع الحراس. بينما تحول كريستيانو رونالدو إلى النسخة الأكثر دموية وفعالية داخل منطقة الجزاء، مهاجم متمركز لا يلمس الكرة كثيراً خارج الصندوق، ولكنه يحول كل نصف فرصة، وكل كرة عرضية، إلى هدف. محقق بلمسة واحدة قاتلة.

كانت إسبانيا تحترق بنيران هذا الصراع الهجومي غير المسبوق، والعالم يتابع بشغف هذه اللوحات الفنية التي ترسم بالدماء والعرق على ملاعب الليجا. لكن، وبينما كانت هذه الأسلحة الهجومية تُصقل وتُجهز لاحتلال أوروبا، كانت الساعات تدق معلنة اقتراب الحدث الأكبر والأكثر قدسية في عالم كرة القدم.

في صيف ألفين وأربعة عشر، كان على هؤلاء الرفاق أن يخلعوا قمصان أنديتهم، وأن يرتدوا قمصان منتخباتهم الوطنية. كانت البرازيل، أرض السحر وكرة القدم، تستعد لاستضافة كأس العالم. وهناك، وسط غابات الأمازون وشواطئ كوباكابانا، كانت الأقدار تجهز لليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو سيناريوهات قاسية، ودموعاً موندالية جديدة ستغير الكثير في مسيرتهما.

## الفصل الثالث والعشرون: مونديال البرازيل.. خطوة واحدة تفصل عن الحلم

عاد صيف كأس العالم ليطلق الأبواب في عام ألفين وأربعة عشر، وهذه المرة لم تكن البطولة تقام في أي مكان، بل في البرازيل، أرض السامبا والمعبود الروحي لكرة القدم. بالنسبة لليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو، كانت هذه النسخة هي "مونديال النضج". كلاهما تجاوز منتصف العشرينيات، وكلاهما يعلم أن هذه هي الفرصة الذهبية والأكثر واقعية لمعاقبة المجد المونديالي قبل أن تبدأ شمس الشباب في المغيب.

في المعسكر البرتغالي، كانت الأجواء مشحونة بالقلق. وصل كريستيانو رونالدو إلى البرازيل وهو يحمل الكرة الذهبية كأفضل لاعب في العالم، وبطلاً متوجاً بدوري أبطال أوروبا مع ريال مدريد، لكنه وصل أيضاً بجسد محطم. كان يعاني من التهاب حاد في الوتر الرضفي لركبته اليسرى، وهي إصابة حذره الأطباء من أن اللعب عليها قد ينهي مسيرته الكروية للأبد. لكن بالنسبة لمحارب مثل رونالدو، كان الانسحاب من كأس العالم والتخلي عن شارة القيادة خيانة عظيمة لبلاده ولنفسه.

قرر البرتغالي المخاطرة بكل شيء وشارك وهو يعرج فعلياً في التدريبات. جاءت البداية كارثية بصدام مروع أمام الماكينات الألمانية انتهى بهزيمة قاسية برباعية نظيفة. في المباراة الثانية أمام الولايات المتحدة، وبينما كانت البرتغال تلهف أنفاسها المونديالية الأخيرة وتتأخر في النتيجة، ظهر رونالدو في الثواني الأخيرة وهو يجر ساقه المصابة ليرسل عرضية خرافية أدرك بها زميله فاريلا التعادل. وفي المباراة الأخيرة ضد غانا، سجل كريستيانو هدفاً، لكنه لم يكن كافياً. ودعت البرتغال البطولة من دور المجموعات، وغادر رونالدو البرازيل حاملاً ركبة ملتهبة وقلباً مكسوراً، مدركاً أن جسده قد خذله في أهم لحظات التاريخ.

على الجانب الآخر من الحدود، كانت القصة مختلفة تماماً ومحملة بآمال قارة بأكملها. ليونيل ميسي دخل المونديال وهو يعلم أن الفوز بكأس العالم على أرض البرازيل، العدو اللدود كروياً للأرجنتين، سيجعله إلهاً متوجاً في بوينس آيرس، وورثاً شرعياً لا غبار عليه لعرش مارادونا.

بدأ ميسي البطولة كقائد أوركسترا يعزف منفرداً. في دور المجموعات، كان هو المنقذ الأوحده؛ سجل هدفاً رائعاً في شباك البوسنة والهرسك بعد انطلاقة مارادونية، وفي مباراة إيران المغلقة والمعقدة، وبينما كان الجميع يستعد لصافرة النهاية في الدقيقة الحادية والتسعين، أطلق تسديدة مقوسة سحرية من خارج منطقة الجزاء مزقت الشباك الإيرانية وأنقذت بلاده. ثم عاد ليسجل ثنائية مذهلة ضد نيجيريا. كان ميسي يحمل منتخب التانجو على كتفيه حرفياً، ويجرهم جراً نحو الأدوار الإقصائية.

مع تقدم البطولة، تحولت الأرجنتين إلى فريق أكثر براغماتية وصلابة دفاعية، وبدأ رفاق ميسي في الظهور لمساعدته. في دور الستة عشر ضد سويسرا العنيدة، وفي الدقيقة المائة وثمانية عشر من الأشواط الإضافية، انطلق ميسي بالكرة وسط غابة من المدافعين ومرر تمريرة حاسمة قاتلة لأنخيل دي ماريا الذي سجل هدف التأهل. وفي ربع النهائي، تكفل جونزالو هيجواين بإسقاط بلجيكا بهدف مبكر، لتعود الأرجنتين أخيراً إلى المربع الذهبي بعد غياب دام أربعة وعشرين عاماً.

نصف النهائي كان ملحمة تكتيكية وبدنية خانقة ضد الطواحين الهولندية بقيادة لويس فان خال. امتدت المباراة للأشواط الإضافية وسط استبسال دفاعي أرجنتيني قاده المحارب خافيير ماسكيرانو، وصولاً إلى ركلات الترجيح. هناك، تصدى الحارس سيرجيو روميرو لركلتين، وتقدم ميسي

بثبات ليسجل ركلته بنجاح، لتعلن صافرة النهاية وصول الأرجنتين إلى  
المباراة النهائية

انفجرت بوينس آيرس في احتفالات جنونية، وتحولت شوارع ريو دي  
جانيرو إلى بحر من القمصان المخططة بالأزرق والأبيض. ميسي يقف الآن  
على أعتاب الخلود المطلق. خطوة واحدة فقط تفصله عن حلم الطفولة،  
خطوة واحدة ليرفع الكأس الذهبية في ملعب الماراكانا الأسطوري ويسكت  
كل من شكك في انتمائه لقميص التانجو للأبد

الأجواء كانت مهياة لنهاية سينمائية مثالية، لكن كرة القدم، وكما عودتنا  
دائماً، كانت تخبيئ في جعبتها نهاية درامية قاسية ستدمي قلب الفتى  
الأرجنتيني وتترك في روحه ندبة عميقة لن تمحوها الأيام بسهولة

## الفصل الرابع والعشرون: دموع ميسي ونظرة الحسرة للكأس الذهبية

الثالث عشر من يوليو لعام ألفين وأربعة عشر، ملعب ماراكانا الأسطوري في مدينة ريو دي جانيرو. كانت شمس العصر تميل للغروب، لكن حرارة الأجواء في البرازيل كانت تحرق القلوب. العالم بأسره يحبس أنفاسه، ومئات الملايين يتسمرون أمام الشاشات. إنها المباراة النهائية لكأس العالم؛ الأرجنتين في مواجهة الماكينات الألمانية المرعبة التي كانت قد سحقت أصحاب الأرض بسباعية تاريخية قبل أيام قليلة.

نزل ليونيل ميسي إلى أرض الملعب حاملاً شارة القيادة، وعيناه مثبتتان على الكأس الذهبية اللامعة الموضوعة على منصة التتويج. كان يعلم أن هذه هي فرصته الأخيرة لإسكات كل المشككين، وللتتويج كملك على عرش اللعبة بلا منازع.

بدأت المباراة وسط حذر تكتيكي شديد. لم تكن ألمانيا تخشى أحدا سوى ميسي، ففرضوا عليه حصاراً خانقاً، لكن رغم ذلك، كانت الفرص الأخطر من نصيب التانجو. في الشوط الأول، أخطأ لاعب الوسط الألماني توني كروس في إرجاع الكرة، ليجد المهاجم الأرجنتيني جونزالو هيجواين نفسه وحيداً تماماً أمام الحارس مانويل نوير. كانت لحظة توقف فيها الزمن في الأرجنتين، لكن المهاجم سدّد الكرة برعونة خارج المرمى، لتضيع فرصة العمر.

مع بداية الشوط الثاني، سنحت الفرصة الذهبية لليونيل ميسي نفسه. تلقى تمريرة بينية رائعة داخل منطقة الجزاء من الجهة اليسرى، الزاوية المفضلة له. تقدم خطوة، وجهاز قدمه اليسرى الساحرة التي طالما مزقت شباك الخصوم، وسدّد الكرة.. لكنها مرت بجوار القائم بسنتيمترات قليلة.

وضع ميسي يديه على رأسه غير مصدق. اللمسة التي لم تخنه أبدا في إسبانيا، خذته في أهم لحظة في حياته.

امتدت المباراة إلى الأشواط الإضافية، وبدأ الإرهاق ينهش أجساد اللاعبين. وفي الدقيقة المائة والثلاثة عشرة، حدث ما يخشاه كل أرجنتيني. انطلق البديل الألماني أندريه شورله من الجناح الأيسر وأرسل عرضية داخل منطقة الجزاء. هناك، استلمها الشاب ماريو جوتزه بصدرة، وقبل أن تلمس الكرة الأرض، سددها مباشرة بقدمه اليسرى لتسكن شباك الحارس سيرجيو روميرو.

سقط ميسي على ركبتيه في منتصف الملعب، وكان خنجرا قد غرس في قلبه. حاول في الدقائق المتبقية أن يفعل شيئا، أن يخترق، أن يسدد، لكن جسده كان منهكا، والدفاع الألماني كان صلبا كالجدار.

انطلقت صافرة النهاية، وانفجرت أفراس الألمان. وفي الجانب الآخر، كانت مشاهد الحزن تدمي القلوب. لاعبو الأرجنتين يسقطون على العشب ليكون بحرقه، بينما كان ميسي يقف وحيدا، شاردا، وعيناه لا ترمشان.

جاءت لحظة الصعود إلى المنصة الشرفية. اختير ميسي كأفضل لاعب في البطولة ليحصل على جائزة الكرة الذهبية الموندiale. صعد الدرج ببطء شديد، بخطوات ثقيلة وكأنه يحمل جبلا على كتفيه. استلم الجائزة الفردية التي لم تكن تعني له شيئا في تلك اللحظة.

وفي لقطة وثقتها الكاميرات وأصبحت واحدة من أشهر وأقسى الصور في تاريخ الرياضة، مر ميسي بجوار كأس العالم الذهبية. تفصله عنها بضعة

سنتيمترات فقط. نظر إليها بنظرة طويلة، مليئة بالحسرة والأسى، نظرة عاشق مجروح يرى معشوقته تزف لغيره ولا يستطيع أن يفعل شيئاً. كان قريباً جداً، ولكنه في نفس الوقت بعيد جداً.

غادر ميسي البرازيل محملاً بخيبة أمل لا توصف. إذا كان كريستيانو قد غادر البطولة من الباب الخلفي بجسد مصاب، فإن ميسي غادرها من الباب الكبير ولكن بروح محطمة. هذا النهائي لم يكن مجرد خسارة رياضية، بل كان جرحاً غائراً سيطارد الفتى الأرجنتيني في كوابيسه، وسيكون بداية لسلسلة من الإحباطات الدولية التي ستدفع أسطورة التانجو إلى حافة الانهيار، وإلى اتخاذ أصعب قرار في حياته.

## الفصل الخامس والعشرون: نهائي باريس.. إصابة مبكرة وبكاء القائد

بعد عامين من انكسار ميسي في البرازيل، جاء الدور على غريمه البرتغالي ليخوض اختباره الدولي الأهم. في صيف عام ألفين وستة عشر، استضافت فرنسا بطولة أمم أوروبا. كان كريستيانو رونالدو قد بلغ الحادية والثلاثين من عمره، يدرك جيدا أن فرصة تعويض دموع لشبونة لعام ألفين وأربعة قد لا تتكرر أبدا. لم تكن البرتغال مرشحة للقب، فالجيل الذهبي القديم قد اعتزل، والفريق كان يعتمد بشكل شبه كلي على قائده وهدافه التاريخي.

كانت رحلة البرتغال في تلك البطولة أشبه بمعجزة تسير على قدمين، أو بالأحرى، على قدمي رونالدو. تأهلوا من دور المجموعات بثلاثة تعادلات شاقة، وأنقذهم كريستيانو من خروج مبكر ومهين بتسجيله هدفين حاسمين بالكعب والرأس في شباك المجر. وفي الأدوار الإقصائية، جروا خصومهم إلى أوقات إضافية وركلات ترجيح، مرورا بكرواتيا ثم بولندا، وصولا إلى نصف النهائي حيث طار كريستيانو في الهواء مسجلا برأسه في شباك ويلز، ليقود بلاده أخيرا إلى المباراة النهائية.

في العاشر من يوليو لعام ألفين وستة عشر، احتشدت الجماهير في "ستاد دو فرانس" بالعاصمة باريس. كان المشهد مهيبا؛ المنتخب الفرنسي صاحب الأرض والجمهور، المدجج بنجوم مرعبين، في مواجهة المنتخب البرتغالي الذي يلعب بواقعية دفاعية ويأمل في لدغة من قائده. نزل كريستيانو إلى أرض الملعب، نظراته حادة كالشفرة، وعزيمته تكفي لحمل جبل بأكمله. كان يرى الكأس الفضية تلمع على خط التماس، ويشعر أن الليلة هي ليلته.

أطلق الحكم صافرة البداية، وبدأت المعركة. لكن القدر، في قسوته المعتادة مع الأساطير في النهائيات الدولية، كان يجهز فخا مؤلما لم يتوقعه أحد.

في الدقيقة الثامنة فقط من عمر اللقاء، استلم كريستيانو الكرة في منتصف الملعب. انقض عليه لاعب الوسط الفرنسي ديميتري باييه بتدخل عنيف وقاس، لتصطدم ركبته بقوة بالغة في ركبة كريستيانو اليسرى؛ ذات الركبة التي كادت أن تنهي مسيرته قبل عامين في البرازيل.

سقط البرتغالي على الأرض يصرخ من شدة الألم، ممسكا بركبته ووجهه يعتصر وجعا. صمت الملعب تماما، وحبست البرتغال أنفاسها. حاول الطاقم الطبي إسعافه، وخرج كريستيانو من الملعب لتلقي العلاج. كان يرفض الاستسلام، يرفض أن يسرق منه القدر حلمه مرة أخرى. طلب من الأطباء ربط ركبته بضمادة ضاغطة، وعاد إلى الملعب وهو يعرج. حاول الركض، حاول القفز، لكن الجسد خذل الروح المتوهجة.

في الدقيقة السابعة عشرة، سقط مرة أخرى. نزلت الدموع من عينيه، دموع قهر وغضب وعجز. واصل اللعب لبضع دقائق أخرى وهو يتحامل على ألم لا يطاق، حتى جاءت الدقيقة الرابعة والعشرون. اللحظة التي أدرك فيها المحارب أن سيفه قد انكسر.

جلس كريستيانو على العشب، ألقى بشارة القيادة على الأرض، وانفجر في بكاء هستيري. لم تكن مجرد دموع ألم جسدي، بل كانت دموع رجل يرى حلم عمره ينهار أمام عينيه للمرة الثانية، ويشعر بالعجز التام عن مساعدة وطنه في أهم ليلة في تاريخه.

وفي تلك اللحظة التراجيدية، التقطت كاميرات البث المباشر مشهدا شاعريا سيبقى خالدا في ذاكرة الرياضة للأبد. بينما كان كريستيانو يبكي بحرقة، اقتربت "فراشة" صغيرة وطارت حول وجهه، ثم هبطت بهدوء تام لتستقر على رمش عينه الأيمن، وكأن الطبيعة ذاتها جاءت لتواسيه وتمسح دموعه التي عجز البشر عن إيقافها.

دخلت النقالة الطبية إلى أرض الملعب. حُمل القائد البرتغالي إلى الخارج وسط تصفيق حار احتراما لشجاعته، حتى من الجماهير الفرنسية نفسها. غطى كريستيانو وجهه بيديه وهو يغادر، تاركا خلفه فريقا يتيما في مواجهة إعصار فرنسي هادر.

اعتقد العالم أجمع في تلك اللحظة أن حظوظ البرتغال قد انتهت، وأن فرنسا ستكتسح المباراة وتحتفل باللقب. لكن ما لم يدركه أحد، هو أن خروج كريستيانو باكيا لم يكسر فريقه، بل أشعل في قلوب زملائه نارا للانتقام لا يمكن إخمادها، تمهيدا لفصل جديد من المعجزة سيكتب في غياب القائد الميداني، وبحضور روحه القتالية على خط التماس.

## الفصل السادس والعشرون: فراشة البرتغال ترفع كأس أوروبا أخيراً

بمجرد أن غادر كريستيانو رونالدو أرضية "ستاد دو فرانس" محمولاً على النقالة الطبية، ساد اعتقاد جازم في المدرجات وبين ملايين المتابعين عبر الشاشات أن صمود البرتغال قد انتهى، وأن الديوك الفرنسية ستنتفض على الفريسة الجريحة لتمزيقها. زاد المنتخب الفرنسي من ضغطه الهجومي بشراسة، وبدأ في شن غارات متتالية بقيادة أنطوان جريزمان وموسى سيسوكو.

لكن ما حدث على العشب الأخضر كان منافياً لكل التوقعات المنطقية. لم ينهر رفاق كريستيانو، بل حدث العكس تماماً؛ لقد تحولوا إلى كتلة من النار المشتعلة. نظر المدافع الشرس "بيبي" إلى زملائه وكأنه يلقي عليهم تعويذة الحرب، وأقسموا جميعاً في تلك اللحظة على القتال من أجل قائدهم الذي يبكي في غرفة الملابس. تحول بيبي إلى جدار أسمنتي لا يُحترق، وتعملق الحارس روي باتريسيو متصدياً لكل التسديدات الفرنسية ببراعة خارقة للعادة.

انتهى الوقت الأصلي بالتعادل السلبي، ولجأ الفريقان إلى الأشواط الإضافية. وفي تلك اللحظات الحرجة المليئة بالإرهاك والتوتر، حدث مشهد سيبقى محفوراً في تاريخ كرة القدم. انشق نفق غرف الملابس، وخرج منه كريستيانو رونالدو. لم يكن يرتدي حذاء اللعب، وكانت ركبته اليسرى ملفوفة بضمادات طبية ضخمة، وكان يعرج بوضوح شديد مع كل خطوة يخطوها.

رفض كريستيانو الجلوس على مقاعد البدلاء لتلقي العلاج أو الراحة. بدلاً من ذلك، توجه مباشرة إلى خط التماس ليقف جنباً إلى جنب مع مدربه

فرناندو سانتوس. في تلك الدقائق القاتلة، تحول البرتغالي من لاعب مصاب إلى "مدرّب ثانٍ". كان يصرخ بأعلى صوته، يوجه زملائه، يلوح بيديه، يطلب منهم التقدم أو التراجع، بل وكان يضرب المدرّب سانتوس على كتفه من شدة الحماس والتوتر ناسياً منصبه. كان يعرج جيئةً وذهاباً على الخط، متجاهلاً ألمه الجسدي، وروحه تقاتل داخل الملعب مع كل لاعب برتغالي يركض خلف الكرة.

قبل بداية الشوط الإضافي الثاني، قرر المدرّب إقحام المهاجم البديل "إيدير"، وهو لاعب طويل القامة، ثقيل الحركة، وكان يتعرض لانتقادات لاذعة وسخرية قاسية من الصحافة البرتغالية لضعف سجله التهديفي. وقبل أن يطأ إيدير العشب الأخضر، اقترب منه كريستيانو، أمسك به من كتفيه، ونظر مباشرة في عينيه وقال له بنبرة الواثق الذي يقرأ الغيب: "العب بثقة، أنت من سيسجل هدف الفوز الليلة".

وبالفعل، وكان نبوءة القائد قد تسلّلت إلى قدم المهاجم البديل. في الدقيقة المائة والتاسعة (109)، استلم إيدير الكرة بالقرب من منتصف الملعب، قاوم مضايقات المدافع الفرنسي بقوة بدنية هائلة، وتقدم خطوات قليلة قبل أن يطلق تسديدة أرضية زاحفة وصاروخية من مسافة بعيدة. زحفت الكرة كالسهم لتسكن الزاوية السفلى لمرمى الحارس الفرنسي هوجو لوريس.

انفجر الملعب، واهتزت شباك فرنسا، واهتزت معها شوارع لشبونة وماديرا. على خط التماس، نسي كريستيانو إصابته وركبته المحطمة، وانطلق يركض ويعرج في وقت واحد، قفز في الهواء وسقط على الأرض يعانق زملائه والمدرّب، ودموعه تنهمر من جديد، لكنها هذه المرة لم تكن دموع العجز، بل دموع الانتصار الملحمي.

مرت الدقائق المتبقية كأنها دهر، حتى أطلق الحكم الإنجليزي مارك كلاتنبرج الصافرة النهائية. سقط كريستيانو على العشب الباريسي ووجهه للسماء، يصرخ بأعلى صوته ويجهش بالبكاء. لقد فعلها أخيراً. المعجزة اكتملت.

صعد القائد البرتغالي درجات السلم الشرفي بخطوات يعرج فيها جسدياً ولكنه يطير فيها روحياً. وقف على المنصة، رفع كأس أمم أوروبا عالياً في سماء باريس، لتلتقط له الصورة الأعلى في مسيرته الدولية. الفراشة التي هبطت على رمشه في بداية المباراة لتواسيه في حزنه، كانت في الواقع تحمل له بشارة التحول العظيم. من رماد الخسارة في لشبونة ألفين وأربعة، إلى المجد الخالد في باريس ألفين وستة عشر.

حقق كريستيانو رونالدو ما عجز عنه أساطير البرتغال أمثال أوزيبيو ولويس فيجو؛ جلب لبلاده أول لقب دولي في تاريخها، وحفر اسمه كأعظم بطل قومي في تاريخ الأمة البرتغالية.

لكن، وبينما كانت البرتغال تعيش ليايها الملاح وترقص على ألحان الانتصار التاريخي لقائدها، كانت قارة أمريكا الجنوبية تشهد دراما من نوع آخر. دراما مأساوية وقاسية، ستدفع الغريم الأرجنتيني ليونيل ميسي إلى نقطة اللاعودة، وإلى اتخاذ قرار سيصدم العالم أجمع ويوقف قلوب الأرجنتينيين رعباً وحسرة.

## الفصل السابع والعشرون: لعنة النهائيات تطارد التانجو في كوبا أمريكا

بينما كانت شوارع العاصمة البرتغالية لشبونة تضج بالاحتفالات المجنونة احتفاء برفع كريستيانو رونالدو لأول كأس قارية في تاريخ بلاده، كانت العاصمة الأرجنتينية بوينس آيرس تعيش أجواء جنائزية، تخيم عليها غيوم من الحزن والغضب واليأس. بالنسبة لليونيل ميسي، لم تكن كرة القدم الدولية سوى كابوس متكرر يأبى أن ينتهي، وحلقة مفرغة من العذاب النفسي.

بعد خسارة نهائي مونديال البرازيل عام ألفين وأربعة عشر، اعتقد الجميع أن القدر قد استنفد قسوته مع ميسي، وأن التعويض قادم لا محالة في بطولة قارة أمريكا الجنوبية (كوبا أمريكا) لعام ألفين وخمسة عشر في دولة تشيلي. قدم ميسي بطولة ممتازة، وقاد بلاده إلى النهائي لمواجهة أصحاب الأرض. وكالعادة، امتدت المباراة إلى ركلات الترجيح. تقدم ميسي وسجل ركلته، لكن زملاءه أطاحوا بكراتهم، لتخسر الأرجنتين نهائيا جديدا، ويقف ميسي مجددا بعينين فارغتين يراقب خصومه وهم يرفعون الكأس.

لكن الضربة القاضية، والتي قسمت ظهر الفتى الأرجنتيني، جاءت في العام التالي مباشرة. في صيف عام ألفين وستة عشر، أقيمت نسخة استثنائية من البطولة القارية احتفالا بمئويتها، واستضافتها الولايات المتحدة الأمريكية. دخل ميسي تلك البطولة كإعصار غضب، مصمما على إنهاء هذه اللعنة. قدم أداء خرافيا، وسجل أهدافا إعجازية، من بينها ركلة حرة تاريخية في شبك أصحاب الأرض في نصف النهائي، ليصبح الهدف التاريخي لمنتخب بلاده متخطيا الأسطورة جابريل باتيستوتا

وصلت الأرجنتين إلى المباراة النهائية، والخصم هو ذاته: منتخب تشيلي العنيد. السيناريو تكرر بحذافيره وكأنه شريط سينمائي يعاد تشغيله بسادية مفرطة؛ تعادل سلبي، معاناة بدنية، التحامات خشنة، ووصول حتمي إلى ركلات الترجيح.

بدأت ركلات المعاناة. أهدر لاعب تشيلي الركلة الأولى، وجاء الدور على القائد ليونيل ميسي ليمنح الأرجنتين التقدم والأفضلية النفسية. وضع الكرة على نقطة الجزاء، تراجع خطواته المعتادة، ونظر إلى الحارس. سدد ميسي !الكرة ببسراه... لكنها ارتفعت وعانقت سماء الملعب بدلا من الشباك

طارت الكرة بعيدا، وطار معها قلب ميسي. أطاح بكرة التقدم، وهي لقطة نادرة الحدوث للاعب بعبقريته ودقته. استمرت الركلات، وأهدر لاعب أرجنتيني آخر، لتتوج تشيلي باللقب للعام الثاني على التوالي، وتتجرع الأرجنتين مرارة الهزيمة في ثالث نهائي دولي على التوالي خلال ثلاث سنوات متتالية (ألفين وأربعة عشر، ألفين وخمسة عشر، وألفين وستة عشر).

بعد انتهاء ركلات الترجيح، لم يسقط ميسي على الأرض كعادته. بل سار بخطوات ثقيلة، جسد بلا روح، نحو مقاعد البدلاء. جلس هناك وحيدا، ملامح وجهه تجمدت في تعبير يجسد أقصى درجات الانكسار الإنساني الممكنة. الكاميرات التقطت وجهه وهو ينظر للفراغ، لحية كثيفة، وعينان تائهتان. كان يبدو وكأن جبال الأنديز بأكملها قد سقطت على كتفيه.

الصحافة الأرجنتينية المتربصة لم ترحمه. انهالت عليه الانتقادات القاسية والاتهامات الباطلة بالتخاذل وعدم اللعب بنفس الشغف الذي يظهره مع نادييه الإسباني. لم يدركوا أن هذا الفتى أعطى كل ما يملك، وأن سوء الطالع

والضغوط النفسية الهائلة قد حولت قميص المنتخب من حلم طفولة إلى  
سترة من نار تحرق روحه في كل مرة يرتديها

في ممر غرف الملابس بتلك الليلة المشؤومة في الولايات المتحدة  
الأمريكية، اتخذ ميسي القرار الأصعب والأكثر إيلاما في حياته الرياضية.  
قرارا صدم العالم كله، وأسكت منتقديه، وجعل الملايين من عشاقه يجهشون  
بالبكاء؛ لقد قرر الفتى الأرجنتيني التوقف عن الركض، ورفع الراية  
البيضاء أمام هذا القدر المعاند

## الفصل الثامن والعشرون: الاعتزال الدولي المؤقت.. ضغوط لا تحتمل

في الممر المختلط المؤدي إلى خارج الملعب في الولايات المتحدة، كانت كاميرات الصحفيين والميكروفونات تتزاحم لالتقاط أي رد فعل من لاعبي المنتخب الأرجنتيني المنكسرين. تقدم ليونيل ميسي بخطوات وئيدة، وعيناه المحمرتان تفضحان حجم الدمار النفسي الذي يعيشه. أوقفه أحد الصحفيين بصوت متردد، فسحب ميسي نفسا عميقا، وبنبرة منكسرة خالية من أي حياة، أطلق القنبلة التي زلزلت أركان عالم كرة القدم.

قال ميسي بكلمات مقتضبة، وكأنه يقرأ بيان نعي لروحه الكروية: "لقد انتهى الأمر في غرفة الملابس. المنتخب الوطني انتهى بالنسبة لي. لقد حاولت كثيرا، إنها أربع نهائيات، ويبدو أن هذا المجد ليس مكتوبا لي. الجرح كبير جدا، إهداري لركلة الترجيح كان قاسيا. أعتقد أن هذا هو القرار". "الأفضل للجميع، لي ولمن يريدون ذلك. لقد انتهى

انتشر التصريح كالنار في الهشيم. في غضون ثوان معدودة، توقفت وكالات الأنباء عن الحديث عن تتويج تشيلي باللقب، وتجاهل العالم كل الأخبار الرياضية الأخرى. "البرغوث يرفع الراية البيضاء ويعلن اعتزاله الدولي". كان الخبر بمثابة زلزال ضرب العاصمة بوينس آيرس بقوة تفوق مقياس ريختر.

الصحفيون والمحللون الأرجنتينيون، الذين طالما جلدوه بكلماتهم القاسية واتهموه بالتخاذل والافتقار إلى الروح القيادية، أصابتهم حالة من الخرس المفاجئ. أدركوا في تلك اللحظة أنهم تمادوا في طعن الفتى الذي حمل منتخب بلادهم على ظهره لسنوات، وأنهم بكلماتهم المسمومة قد قتلوا. شغف أعظم موهبة أنجبتها بلادهم منذ ديبجو مارادونا

انقلب الشارع الأرجنتيني رأسا على عقب. الجماهير التي كانت تنتقده بالأمس، خرجت إلى الشوارع والميادين تبكي وتتوسل إليه بالبقاء. امتلأت محطات الحافلات واللوحات الإعلانية في الشوارع بعبارات واحدة: "لا ترحل يا ليو". في العاصمة، ورغم هطول الأمطار الغزيرة، احتشد عشرات الآلاف في مسيرات عفوية يهتفون باسمه، يرفعون لافتات تعتذر له وتطالبه بعدم تركهم يتامى كرويا. حتى رئيس الجمهورية الأرجنتينية، والأسطورة دييجو مارادونا نفسه، خرجا في تصريحات رسمية يطالبانه بالعدول عن قراره المؤلم.

عاد ميسي إلى إسبانيا، واعتزل العالم. فضل البقاء في منزله مع عائلته، بعيدا عن صخب الإعلام. في تلك الأيام الصعبة، كان الفتى يجلس وحيدا، يستعيد شريط ذكرياته. تذكر طفولته في شوارع روزاريو الترايبية، تذكر رفضه إغراءات اللعب للمنتخب الإسباني وهو مراهق مفضلا قميص التانجو، وتذكر ألم حقن النمو التي كان يغرسها في ساقه. تساءل في قرارة نفسه: هل كل هذا العناء لينتهي به المطاف هاربا من المعركة؟

لم يكن ميسي هاربا، بل كان إنسانا استنزفت طاقته حتى آخر قطرة، واحتاج إلى تلك الصرخة ليتنفس بعد أن كاد يختنق بضغط شعب كامل.

مرت الأسابيع، وتغير الجهاز الفني للمنتخب الأرجنتيني. سافر المدرب الجديد إلى إسبانيا للقاء ميسي وجها لوجه. لم يتحدث معه عن الخطط أو التكتيك، بل تحدث معه عن الوطن الذي ينزف في التصفيات المؤهلة لكأس العالم، وعن حقيقة أن القبطان لا يقفز من السفينة الغارقة، بل يعود ليمسك بالدفعة حتى لو كلفه ذلك حياته.

في أغسطس من نفس العام، صدر بيان مقتضب من الفتى الأرجنتيني، يحمل بين طياته أسمى معاني الانتماء والتضحية. قال فيه: "هناك الكثير من المشاكل في كرة القدم الأرجنتينية ولا أريد أن أكون مشكلة أخرى. لا أريد إحداث أي ضرر، لطالما أردت المساعدة. حب بلادي وهذا القميص". "عظيم جدا. أشكر كل من أراد استمراري، وأتمنى أن تمنحهم الفرحة قريبا

عاد ليونيل ميسي لارتداء القميص المخطط بالأزرق والأبيض. عاد ليقاتل أشباحت في ملعب يخلو من الرحمة. وفي المباراة الحاسمة والأخيرة من التصفيات ضد الإكوادور، وبينما كانت الأرجنتين متأخرة في النتيجة وتواجه خطر الغياب الكارثي عن كأس العالم، تقمص ميسي دور البطل الخارق، وسجل ثلاثة أهداف (هاتريك) أسطورية، ليعبر ببلاده من عنق الزجاجة. ويحجز لهم تذكرة السفر إلى المونديال القادم

وبينما كان ميسي يصارع شياطينه النفسية وينتشل منتخبه من وحل التصفيات، كان غريمه كريستيانو رونالدو وناديه الملكي في العاصمة الإسبانية يستعدون لفتح أبواب الجحيم على القارة الأوروبية، وكتابة فصل من الهيمنة المتوحشة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البطولة الأعلى، في إعجاز سيجعل اسم مدريد مرادفا للربع القاري

## الفصل التاسع والعشرون: الديكتاتورية البيضاء.. ثلاثية مدريد التاريخية في أوروبا

في منتصف موسم ألفين وخمسة عشر - ألفين وستة عشر، كانت الأجواء في العاصمة الإسبانية مشحونة بالتوتر. ريال مدريد يعاني من تخطب في النتائج تحت قيادة المدرب رافاييل بينيتيز، وبرشلونة يغرد وحيداً بسحره المعتاد. أدرك رئيس النادي فلورنتينو بيريز أن الفريق بحاجة إلى صدمة كهربائية تعيد الروح إلى جسد "الميرينجي"، فلم يجد أمامه سوى ورقة واحدة، ورقة تحمل هالة الأساطير: تعيين الفرنسي زين الدين زيدان مدرباً للفريق الأول.

لم يكن زيدان يمتلك خبرة تدريبية واسعة، لكنه كان يمتلك ما هو أهم: "الكاريزما" والاحترام المطلق. عندما يقف زيدان في غرفة الملابس ويتحدث، يصمت الجميع، بمن فيهم كريستيانو رونالدو. أدرك "زيزو" بذكائه الحاد أن مفتاح السيطرة على أوروبا يكمن في الحفاظ على الماكينة البرتغالية. عقد زيدان اجتماعاً خاصاً مع رونالدو، وأقنعه بأمر كان يعتبره البرتغالي من المحرمات: "يجب أن ترتاح في المباريات الأقل أهمية، وتوفر طاقتك المتفجرة لمباريات الحسم في دوري الأبطال. إذا استمعت إلي، سأجعلك بطلاً لأوروبا مراراً وتكراراً".

رضخ رونالدو، وتغير أسلوب لعبه بالكامل. تخلى عن الركض المستمر على الأطراف، وتحول إلى مهاجم صندوق كلاسيكي، "ثعلب" يعيش داخل منطقة الجزاء، ينهي الهجمات بلمسة واحدة قاتلة.

في مايو ألفين وستة عشر، وفي مدينة ميلانو الإيطالية، التقى ريال مدريد مجدداً بغريمه اللدود أتلتيكو مدريد في نهائي دوري الأبطال. كانت معركة

بدنية طاحنة امتدت لركلات الترجيح. وكما حدث في لشبونة، كان القدر يخبئ اللقطة الختامية للبرتغالي. تقدم كريستيانو وسدد الركلة الحاسمة. بنجاح، ليخلع قميصه ويحتفل بـ "الحادية عشرة" للملكي

لكن ما حدث في العامين التاليين كان إعجازاً كروياً لم يصدقه عقل. كانت هناك "لعنة" تاريخية في النسخة الحديثة من دوري أبطال أوروبا: لا يوجد فريق قادر على الاحتفاظ باللقب لعامين متتاليين

في موسم ألفين وستة عشر - ألفين وسبعة عشر، قرر ريال مدريد ورونالدو كسر هذه اللعنة. تحول البرتغالي في الأدوار الإقصائية إلى كائن مرعب. سجل خمسة أهداف في شباك بايرن ميونخ في ربع النهائي، وثلاثية (هاتريك) في شباك أتلتيكو مدريد في نصف النهائي. وفي المباراة النهائية في كارديف ضد يوفنتوس الإيطالي، الذي كان يمتلك أقوى خط دفاع في العالم بقيادة الحارس الأسطوري بوفون، تكفل كريستيانو بتدمير الحصن الإيطالي بتسجيله هدفين، ليفوز ريال مدريد برباعية ويحقق "الثانية عشرة"، كاسراً عقدة اللقبين المتتاليين

لم تكتفِ آلة مدريد بهذا القدر. في موسم ألفين وسبعة عشر - ألفين وثمانية عشر، أصبحت أوروبا بأكملها تعاني من "عقدة النقص" أمام قميص ريال مدريد. وفي الدور ربع النهائي من تلك النسخة، عاد ريال مدريد لمواجهة يوفنتوس في مدينة تورينو الإيطالية

هناك، حدثت اللقطة التي توجت مسيرة كريستيانو رונالدو. تلقى عرضية داخل منطقة الجزاء، وارتقى في الهواء لمسافة خرافية مسدداً الكرة بضربة مقصية مزدوجة (باك ورد) خيالية سكنت شباك بوفون الذي اكتفى بمشاهدتها بذهول. من شدة جمال الهدف وإعجازه، وقف جمهور يوفنتوس

في مدرجات ملعبهم يصفقون بحرارة للجلاد البرتغالي الذي مزق شبكهم للتو! لقطه جعلت كريستيانو يضع يده على صدره وينحني لهم احتراماً

وصل ريال مدريد إلى النهائي الثالث على التوالي في العاصمة الأوكرانية كييف، ليواجه ليفربول الإنجليزي. ورغم خروج نجم ليفربول محمد صلاح مصاباً وتألّق جاريت بيل بهدف مقصي آخر، كان تتويج ريال مدريد بـ "الثالثة عشرة" هو الإعلان الرسمي عن أفسى ديكتاتورية كروية شهدتها أوروبا. ثلاثة ألقاب متتالية في دوري أبطال أوروبا، إنجاز مستحيل في العصر الحديث، تحقق بفضل منظومة زيدان الهادئة، ووحشية رونالدو داخل الصندوق

أصبح كريستيانو رونالدو هو "السيد المطلق" لدوري الأبطال. الهداف التاريخي، وأكثر من سجل في مواسم متتالية، وأكثر من حسم مباريات إقصائية. رفع البرتغالي يده بخمسة أصابع في سماء كييف، مشيراً إلى تحقيقه خمس بطولات دوري أبطال في مسيرته (واحدة مع مانشستر وأربع مع مدريد)

لكن، وبينما كانت قصاصات الورق الذهبية تتساقط على لاعبي ريال مدريد في كييف، أطلق كريستيانو رونالدو تصريحاً غامضاً ومزلزلاً في المقابلة التلفزيونية على أرض الملعب قائلاً: "لقد كان من الجميل جداً اللعب في ريال". "مدريد... سأحدث في الأيام القادمة

في قمة المجد، وفي لحظة التتويج القصوى، كانت العلاقة بين الهداف التاريخي ورئيس النادي فلورنتينو بيريز قد وصلت إلى طريق مسدود، لتُدق طبول الرحيل الصادم الذي سينهي حقبة التنافس المباشر والأسبوعي مع

ليونيل ميسي، ويطوي صفحة أعظم صراع ثنائي شهدته أراضي إسبانيا  
للأبد

## الفصل الثلاثون: زلزال الرحيل.. نهاية حقبة الكلاسيكو الأعظم

لم تكن الكلمات التي نطق بها كريستيانو رونالدو على عشب الملعب الأولمبي في كييف، وتحت قصاصات الورق الذهبية للاحتفال بـ "الثالثة عشرة"، مجرد زلة لسان أو انفعال عابر. كانت تلك الكلمات بمثابة رصاصة أطلقت بدم بارد لتعلن نهاية حقبة لن ينساها التاريخ. كان العالم يظن أن رونالدو سيعتزل بقميص ريال مدريد، لكن خلف الأبواب المغلقة في قصر "سانتياجو برنابيو"، كانت العلاقة بين الهدف التاريخي ورئيس النادي فلورنتينو بيريز قد تمزقت تماماً، ولم يعد هناك مجال لإصلاحها.

شعر كريستيانو بمرارة شديدة لعدم وفاء الإدارة بوعودها في تحسين عقده بعد تتويجه بالكرات الذهبية المتتالية، خاصة عندما رأى الأرقام الفلكية التي يتقاضاها ميسي في برشلونة ونيمار في باريس. زاد من الطين بلة قضايا الضرائب المعقدة التي لاحقته في إسبانيا، وشعوره بأن النادي لم يحمه أو يقف بجانبه كما يجب. أدرك البرتغالي المعتر بكبريائه أن وقت الرحيل قد حان، وأن عليه أن يثبت للعالم، ولرئيس ريال مدريد بالذات، أنه قادر على قهر دوري جديد وفي بيئة مختلفة تماماً.

في العاشر من يوليو لعام ألفين وثمانية عشر، توقفت عقارب الساعة في مدريد. صدر البيان الرسمي الذي نزل كالصاعقة على رؤوس المديرين: انتقال كريستيانو رونالدو إلى نادي يوفنتوس الإيطالي مقابل أكثر من مائة مليون يورو.

لماذا يوفنتوس؟ كان الاختيار يحمل طابعاً رومانسياً غريباً على شخصية كريستيانو العملية. لقد تذكر تلك الليلة في تورينو قبل أشهر قليلة، عندما سجل هدفه المقصي الإعجازي، وكيف وقفت جماهير يوفنتوس تصفق

لجلادها باحترام وتقدير. في تلك اللحظة، شعر رونالدو أن هذا هو المكان الذي سيمنحه التقدير والحب المطلق الذي افتقده في أروقة الإدارة المدريدية.

حزم كريستيانو حقائبه، وغادر العاصمة الإسبانية بعد تسع سنوات أسطورية، ترك خلفه أربعمئة وخمسين هدفاً في أربعمئة وثمانين وثلاثين مباراة، في معدل تهديفي يفوق المنطق، تاركاً فراغاً موحشاً لا يمكن ملؤه في قلعة الميرينجي.

لكن الفراغ الأكبر لم يكن في مدريد فحسب، بل في إسبانيا بأكملها. برحيل رونالدو، طويت صفحة أعظم صدام ثنائي ومباشر في تاريخ الرياضة. "كلاسيكو الأرض" الذي كان يوقف عجلة الزمن ويجمد كوكب الأرض تسعين دقيقة، فقد نصف طريقه. لم يعد هناك ذلك الترقب المجنون للقطة مصافحة ميسي ورونالدو قبل شارة البداية، ولم يعد هناك سباق الأهداف الأسبوعي الذي كان يدفعهما لكسر حدود القدرات البشرية.

حتى ليونيل ميسي نفسه، ورغم العداوة الرياضية الشرسة، لم يستطع إخفاء مشاعر الفقد. في إحدى المقابلات اللاحقة، تخلى الفتى الأرجنتيني عن خجله ودبلوماسيته المعهودة ليعترف قائلاً: "أفتقد كريستيانو في إسبانيا. لقد كان من الرائع اللعب ضده رغم صعوبة الأمر. كان يعطي للكلاسيكو والدوري الإسباني قيمة هائلة وجمالاً خاصاً. التنافس معه كان يدفعني لأكون لاعباً أفضل كل يوم". كانت تلك الكلمات بمثابة اعتراف علني بـ "التبعية المتبادلة" بين العبقريين؛ فكل منهما كان يحتاج للآخر لكي يظل جائعاً ومشتعلًا.

ومع هذا الزلزال الذي ضرب القارة، جاء عام ألفين وثمانية عشر ليحمل مفاجأة أخرى زلزلت عرش الثنائي. لأول مرة منذ عقد كامل من الزمان (عشر سنوات متتالية)، لم يُنطق اسم ميسي ولا اسم رونالدو كفائز بجائزة الكرة الذهبية. الكرواتي الأنيق لوكا مودريتش، مايسترو خط وسط ريال مدريد والذي قاد بلاده لنهائي مونديال روسيا في نفس العام المليء بالمفاجآت، صعد إلى المنصة ليخطف الكرة الذهبية، كاسراً الاحتكار الفضائي ومُعلنًا أن ديناميكية كرة القدم العالمية بدأت تتغير.

بدأت مرحلة جديدة كلياً في حياة الثنائي، مرحلة "ما بعد الكلاسيكو". ذهب كريستيانو رونالدو في الرابعة والثلاثين من عمره ليغزو ملاعب إيطاليا المعقدة دفاعياً، بحثاً عن تحديات جديدة وكتابة التاريخ بقميص "السيدة العجوز". في المقابل، بقي ليونيل ميسي وحيداً على عرش إسبانيا، يرتدي شارة القيادة في برشلونة، ويحمل على عاتقيه مهمة مستحيلة لقيادة فريق بدأ يشيخ ويفقد بريقه تدريجياً، تمهيداً لسنوات من التخبط الإداري والكوارث الأوروبية التي ستختبر صبر وولاء الفتى الأرجنتيني إلى أقصى حد

## الفصل الحادى والثلاثون: تحديات جديدة.. معجزة تورينو وكابوس ليفربول

مع بداية موسم ألفين وثمانية عشر - ألفين وتسعة عشر، وجد كوكب الأرض نفسه أمام واقع كروي جديد ومختلف تماماً. كريستيانو رونالدو، في الرابعة والثلاثين من عمره، يرتدي قميص يوفنتوس المخطط بالأبيض والأسود في إيطاليا، بينما وقف ليونيل ميسي وحيداً في إسبانيا، يرتدي شارة القيادة المطلقة لبرشلونة بعد رحيل أندريس إنييستا، ليجد نفسه مطالباً بحمل نادٍ يترنح إدارياً وفنياً على كاهله وحده.

في إيطاليا، كان التحدي أمام رونالدو كبيراً. الدوري الإيطالي يُعرف تاريخياً بصلابته الدفاعية التكتيكية الخائفة والمساحات الضيقة. شكك الكثيرون في قدرة البرتغالي على الاستمرار بنفس المعدل التهديفي المرعب في هذا العمر المتقدم وفي بيئة مختلفة. لكن كريستيانو لم يهتم بالشكوك، بل سرعان ما أثبت أنه "آلة" لا تتأثر باختلاف الجغرافيا.

اللحظة التي عرّفت مسيرة رونالدو مع "السيدة العجوز" لم تتأخر كثيراً. في ثمن نهائي دوري أبطال أوروبا، أوقعت القرعة يوفنتوس في مواجهة العدو القديم لكريستيانو: أتلتيكو مدريد الإسباني بقيادة مدربه الشرس دييجو سيميوني. في مباراة الذهاب بالعاصمة الإسبانية، تلقى يوفنتوس صفة قوية وخسر بهدفين نظيفين. وفي نشوة الانتصار، قام سيميوني باحتفال جنوني مثير للجدل أمام الجماهير. غادر كريستيانو الملعب غاضباً، وأشار بيده للصحفيين بخمسة أصابع قائلاً: "أنا أملك خمس بطولات دوري". "أبطال، وأتلتيكو يملك صفراً".

اعتقد العالم أن يوفنتوس قد ودع البطولة، وأن الإسبان سيغلقون دفاعاتهم في الإياب كعادتهم ولن يسمحوا بأي عودة. لكن كريستيانو كان يطبخ

انتقامه على نار هادئة. قبل مباراة الإياب في مدينة تورينو، أرسل رسائل نصية لعائلته وأصدقائه المقربين يعدهم فيها بأنه سيسجل ثلاثة أهداف. وستعبر فريقه.

وفي الليلة الموعودة، تحول رونالدو إلى إعصار مدمر. طار في الهواء ليسجل الهدف الأول برأسية جبارة، ثم ارتقى مرة أخرى ليضرب الكرة برأسه وتسكن الشباك رغم محاولة الحارس، وفي الدقائق الأخيرة، حصل يوفنتوس على ركلة جزاء، ليتقدم رونالدو بثبات الجليد ويسددها بنجاح مسجلاً الهدف الثالث. أكمل الثلاثية، وأقصى أتلتيكو مدريد بمفرده في عودة تاريخية ملحمية، ورد احتفال سيميوني المستفز باحتفال مماثل أمام الكاميرات. لقد أثبت للعالم أنه لا يزال "سيد أوروبا"، حتى وهو يرتدي قميصاً مختلفاً.

على الجانب الآخر من القارة، كان ليونيل ميسي يقدم واحداً من أعظم مواسمه الفردية على الإطلاق في تاريخ كرة القدم. في بداية الموسم، أمسك ميسي بالميكروفون في ملعب الكامب نو ووعد الجماهير الكتالونية قائلاً: "سنبذل كل ما في وسعنا لإعادة تلك الكأس الجميلة والمطلوبة (دوري أبطال أوروبا) إلى هذا الملعب".

كان ميسي يلعب وكأنه ممسوس بكرة القدم. كان يسجل، يصنع، ويقود خط الوسط والهجوم في آن واحد، مغطياً على كل عيوب فريقه المتهاوي. قاد برشلونة لكسح الجميع في الدوري الإسباني، ووصل بهم إلى نصف نهائي دوري أبطال أوروبا ليصطدم بفريق ليفربول الإنجليزي المرعب تحت قيادة يورجن كلوب.

في مباراة الذهاب بملعب الكامب نو، قدم ميسي عرضاً ساحراً. فاز برشلونة بثلاثية نظيفة، وكان الهدف الثالث تحديداً لقطة للتاريخ. ركلة حرة مباشرة من مسافة بعيدة جداً، سددها الفتى الأرجنتيني بقوة وتقوس إعجازي لتسكن المقص الأيسر للحارس البرازيلي أليسون بيكر. كان هذا الهدف هو الهدف رقم ستمائة لميسي في مسيرته مع برشلونة، وجعل الكتالونيين يوقنون بأن تذكرة النهائي قد حُجزت.

لكن كرة القدم كانت تخبئ لميسي كابوساً جديداً سيمزق قلبه. في مباراة الإياب بمدينة ليفربول، وفي ملعب "أنفيلد" العريق ذي الأجواء الجماهيرية المرعبة، حدث الانهيار الشامل. غابت الروح عن لاعبي برشلونة، ووقف ميسي وحيداً يحاول صناعة الفرص لزملائه الذين أهدروها برعونة غريبة. انقض لاعبو ليفربول كوحوش جائعة، وسجلوا هدفاً تلو الآخر، حتى جاء الهدف الرابع بخدعة الركلة الركنية السريعة الشهيرة التي وقف فيها دفاع برشلونة يتفرج في بلاهة لا تُصدق.

أطلق الحكم صافرة النهاية بهزيمة برشلونة برعاية نظيفة وخروجه الكارثي من البطولة. التقطت الكاميرات وجه ليونيل ميسي؛ كان شاحباً، منكسراً، وعيناه تنظران في فراغ ملعب أنفيلد غير مصدق لما حدث. لقد قدم موسماً فردياً يقارب الكمال، لكنه أدرك في تلك الليلة القاسية أن العبقرية الفردية، مهما بلغت عظمتها، لا يمكنها أن تعوض الانهيار الجماعي لفريق. فقد هويته وشجاعته.

رغم هذا الخروج التراجيدي، لم يكن بإمكان العالم تجاهل الأداء الإعجازي الذي قدمه ميسي طوال العام. في نهاية عام ألفين وتسعة عشر، عاد الفتى الأرجنتيني ليقف على منصة التتويج في العاصمة الفرنسية باريس، حاملاً الكرة الذهبية السادسة في مسيرته. وبذلك، فك الشراكة التاريخية مع

غريمه البرتغالي الذي توقف رصيده عند خمس كرات ذهبية، ليعود ميسي للانفراد بالقمة مجدداً.

لكن تلك الكرة الذهبية السادسة كانت تحمل طعماً مختلفاً. لم تكن مصحوبة باحتفالات صاخبة كالسابق، بل بوعي عميق بأن قطار العمر يمضي بسرعة لا ترحم. في خطابه بعد التتويج، نطق ميسي بكلمات جعلت قلوب عشاق اللعبة تنقبض، حين قال: "أنا أدرك عمري جيداً، وأستمتع بهذه اللحظات". أكثر من ذي قبل، لأن لحظة النهاية تقترب، وهذا أمر صعب

الزمن، ذلك العدو الذي لا يمكن لأي لاعب مراوغته أو التفوق عليه بالقفزات، بدأ يلقي بظلاله على العمالقة. ومع اقتراب عقد جديد يحمل في طياته وباءً عالمياً سيغلق الملاعب ويغير شكل الحياة، كانت الأقدار تجهز للثنائي المذهل انتقالات صادمة ودراما خارج التوقعات ستثقل موازين اللعبة رأساً على عقب

## الفصل الثاني والثلاثون: وباء الصمت.. سقوط القلاع وصيف الجنون

في مطلع عام ألفين وعشرين، توقفت عجلة الزمن، ليس في ملاعب كرة القدم فحسب، بل في كوكب الأرض بأسره. اجتاح وباء "كورونا" العالم، وأغلقت المدن، وخيم صمت مرعب على الملاعب التي كانت تضج بحناجر مئات الآلاف. وعندما عادت كرة القدم أخيراً، عادت مشوهة، تُلعب خلف أبواب مغلقة، ولا يُسمع فيها سوى صدى صرخات اللاعبين وركل الكرة في مدرجات خاوية وموحشة.

في هذا الجو الكئيب، كانت الإمبراطورية الكتالونية تتهاوى من الداخل. الإدارة تتخبط، والديون تتراكم، والفريق يفقد هويته. وفي شهر أغسطس، وداخل العاصمة البرتغالية لشبونة، تجسد هذا الانهيار في أبشع صورته. في ربع نهائي دوري الأبطال، التقى برشلونة بقطار بايرن ميونخ الألماني. لم تكن مباراة، بل كانت مذبحه كروية بلا رحمة؛ ثمانية أهداف مقابل هدفين. في شباك الفريق الكتالوني

التقطت الكاميرات صورة ليونيل ميسي في غرفة الملابس بين الشوطين؛ كان يجلس مطأطأ الرأس، ينظر للفراغ بعينين زجاجيتين، وكأنه يرى جدران المعبد الذي بناه طوال خمسة عشر عاماً تنهار فوق رأسه. أدرك الفتى الأرجنتيني أن المشروع الرياضي لبرشلونة قد مات إكلينيكياً.

بعد تلك الكارثة بأيام، فجر ميسي القنبلة التي زلزلت إسبانيا. أرسل خطاباً رسمياً عبر خدمة "البوروفاكس" لإدارة النادي، يطلب فيه تفعيل بند رحيله المجاني فوراً. العالم حبس أنفاسه؛ ميسي يريد خلع قميص برشلونة! لكن رئيس النادي جوسيب ماريا بارتوميو رفض تماماً، وهدد بجر أسطورة النادي إلى المحاكم إذا أصر على الرحيل. ولأن ميسي لم يتخيل يوماً أن

يقف أمام القاضي ضد النادي الذي أنقذ حياته في طفولته، تراجع بمرارة،  
وقرر البقاء لموسم أخير كـ "سجين" في بيته

في إيطاليا، لم يكن الوضع مثالياً للغريم البرتغالي. كان كريستيانو رونالدو  
يقاقل الزمن بضراوة، يكسر الأرقام القياسية، وأصبح أسرع لاعب يسجل  
مائة هدف في تاريخ يوفنتوس، لكنه وجد نفسه يحمل عبء فريق يفقد  
بريقه الأوروبي تدريجياً. توالى الخيبات القارية بالخروج أمام أندية أقل  
شأناً مثل ليون وبورتو. أدرك رونالدو أن حلم تحقيق دوري الأبطال مع  
فريق إيطالي يعاني من شيخوخة تكتيكية بات ضرباً من المستحيل. الإحباط  
بدأ يتسرب إلى المحارب الذي لا يقبل سوى بالقمة

ومع حلول صيف عام ألفين وواحد وعشرين، كانت الأقدار تجهز للعالم  
الرياضي "صيف الجنون المطلق"، صيفاً ستتقلب فيه الموازين وتُكسر فيه  
العقد، وتتغير فيه ألوان القمصان بطريقة دراماتيكية لم يتوقعها أحد  
المتشائمين.

بدأ الصيف بملحمة أرجنتينية طال انتظارها. سافر ميسي مع منتخب بلاده  
إلى البرازيل لخوض بطولة "كوبا أمريكا". كان يدرك أنها ربما تكون  
الفرصة الأخيرة لمعانقة مجد دولي قبل الاعتزال. قدم ميسي بطولة خرافية،  
ووصل إلى المباراة النهائية ليواجه البرازيل، وفي قلب ملعب "الماراكانا"  
الأسطوري، ذات الملعب الذي شهد دموع انكساره في مونديال ألفين وأربعة  
عشر.

هذه المرة، ابتسم القدر أخيراً. بهدف ساقط رائع من صديقه أنخيل دي  
ماريا، وصمود دفاعي ملحمي، أطلق الحكم صافرة النهاية. سقط ميسي على  
ركبتيه فوراً، ودفن وجهه بين يديه، وانخرط في نوبة بكاء هستيرية. ركض

جميع زملائه نحوه وعانقوه كالجبل. لم تكن مجرد بطولة، بل كانت طردية  
لنهائيات من العذاب، وكسراً للعنة استمرت لعقود. رفع ميسي الكأس  
القارية، وابتسم بصدق لأول مرة بقميص التانجو.

لكن الفرحة لم تدم طويلاً. عاد ميسي إلى مدينة برشلونة في أغسطس  
لتجديد عقده الذي انتهى رسمياً. كان كل شيء متفقاً عليه، وتنازل الفتى  
عن نصف راتبه من أجل النادي. دخل إلى مكتب الرئيس الجديد خوان  
لابورتا، وهناك تلقى الصدمة القاتلة: "ليو، النادي مفلس تماماً، ورابطة  
"الدوري الإسباني ترفض تسجيل عقدك. لا يمكننا الإبقاء عليك".

عُقد مؤتمر صحفي للوداع. صعد ليونيل ميسي إلى المنصة، وقبل أن ينطق  
بكلمة واحدة، انهار باكياً كطفل صغير أُجبر على ترك منزله. وقفت زوجته  
لتناوله منديلاً وسط صمت جنائزي في القاعة. قال بصوت متهدج: "لم أكن  
مستعداً لهذا. لقد فعلت كل ما بوسعي لأبقى، هذا بيتي.. لكن اليوم يجب أن  
"أقول وداعاً".

في مشهد سريالي، حزم ميسي حقائبه وطار إلى العاصمة الفرنسية باريس،  
ليرتدي قميص "باريس سان جيرمان" ويجتمع بصديقه نيمار، تاركاً إقليم  
كتالونيا في حالة حداد مفتوح.

وكان هذا الزلزال لم يكن كافياً، أبقى كريستيانو رونالدو أن يمر هذا الصيف  
دون أن يترك بصمته المجنونة. في الأيام الأخيرة من سوق الانتقالات، قرر  
البرتغالي الرحيل عن يوفنتوس. انتشرت شائعات قوية ومخيفة بأنه في  
طريقه للتوقيع مع مانشستر سيتي، الغريم اللدود لفريقه السابق.

لكن بمجرد أن وصلت الأنباء إلى إنجلترا، تدخل "الأب الروحي". أجرى السير أليكس فيرجسون مكالمة هاتفية سريعة مع كريستيانو وقال له عبارة واحدة: "لا يمكنك اللعب لمانشستر سيتي أبداً". تغير المسار في غضون ساعات، وأعلن نادي مانشستر يونايتد عودة الابن الضال إلى "مسرح الأحلام" بعد اثني عشر عاماً من الغياب، في صفقة زلزلت وسائل التواصل الاجتماعي وأعدت البرتغالي إلى بيته الإنجليزي القديم.

انتهى صيف ألفين وواحد وعشرين بخلع الثنائي الأعظم لجلدهما التاريخي. ميسي بالقميص الأزرق الداكن في باريس، ورونالدو بالقميص الأحمر في مانشستر. بدأت حقبة جديدة تماماً، حقبة "الرقصة الأخيرة"، حيث يقاتل كلاهما لإثبات أن سحرهما لم ينضب، وأن الفصل الختامي في مسيرتهما سيحمل في طياته دراما لا تقل إثارة عن سنوات الشباب والمجد الإسباني.

## الفصل الثالث والثلاثون: شتاء العمر.. معاناة في باريس وسراب في مانشستر

بعد الصيف المجنون الذي شهد انتقال الثنائي الأعظم، اعتقد عشاق كرة القدم أن فصل "الرقصة الأخيرة" سيكون مليئاً بالسحر والرومانسية الكروية. لكن الواقع، بقسوته المعتادة، كشف للجميع أن الزمن لا يرحم، وأن تغيير القمصان في خريف العمر قد يكون فحاً أكثر منه طوق نجاة.

في إنجلترا، كانت عودة الابن الضال كريستيانو رونالدو إلى "مسرح الأحلام" أشبه بفيلم هوليوودي مثالي. في مباراته الأولى بقميص مانشستر يونايتد أمام نيوكاسل، اهتزت مدرجات "أولد ترافورد" بهدير لم تشهده منذ سنوات. سجل البرتغالي هدفين، ووقف بوقفته الشهيرة وسط احتفالات هستيرية. وفي دور المجموعات من دوري أبطال أوروبا، تقمص رونالدو دور البطل الخارق كعادته، مسجلاً أهدافاً قاتلة في الثواني الأخيرة أنقذت فريقه المترنح من إقصاء مبكر.

لكن سرعان ما تبدد هذا السراب الرومانسي. خلف أهداف كريستيانو الفردية، كان هناك فريق مفكك تكتيكياً وإدارياً. أقيل المدرب أولي جونار سولشاير، وجاء رالف رانجنيك، لكن سفينة يونايتد استمرت في الغرق. وجد كريستيانو نفسه، لأول مرة منذ أكثر من عقد ونصف، يركض في فريق يعجز عن السيطرة على المباريات أو مجاراة كبار إنجلترا. ورغم إنهائه الموسم كأفضل هداف لفريقه في الدوري، إلا أن الكارثة قد وقعت؛ فشل مانشستر يونايتد في حجز مقعد مؤهل لدوري أبطال أوروبا. بالنسبة لـ "سيد البطولة القارية"، كان اللعب في الدوري الأوروبي (اليوروباليج) بمثابة إهانة لكبريائه وتاريخه، لتتحول العودة الحاملة إلى كابوس خانق.

على الجانب الآخر من القناة الإنجليزية، لم تكن شوارع العاصمة الفرنسية مفروشة بالورود لليونيل ميسي. الفتى الذي لم يعرف في حياته سوى برشلونة، وجد نفسه فجأة في بيئة مختلفة، طقس بارد، وغرفة ملابس تعج بالنجوم والغرور. ورغم أن هجوم باريس سان جيرمان، بوجود ميسي ونيمار ومبابي، بدا على الورق وكأنه سلاح نووي كروي، إلا أن كرة القدم أثبتت مجدداً أنها ليست مجرد أسماء تُجمع في تشكيلة واحدة.

عانى ميسي في التأقلم مع قوة الدوري الفرنسي البدنية والتدخلات الخشنة، وظهرت عليه علامات الحنين إلى الماضي. لكن اللحظة الأقسى في موسمه الأول جاءت في بطولته المفضلة؛ دوري أبطال أوروبا. في دور الستة عشر، واجه باريس الغريم التاريخي لميسي: ريال مدريد. بعد التفوق في مباراة الذهاب، انهار الفريق الباريسي بطريقة دراماتيكية في ملعب "سانتياجو برنابيو" خلال خمس عشرة دقيقة مجنونة بفضل ثلاثية للمهاجم الفرنسي كريم بنزيما، ليودع رفاق ميسي البطولة مبكراً.

في المباراة التالية لباريس في الدوري المحلي، حدث ما كان يعتبر من سبع المستحيلات. عندما أُذيع اسم ليونيل ميسي في مكبرات الصوت بملعب "حديقة الأمراء"، انطلقت صافرات الاستهجان من الجماهير الباريسية الغاضبة. الملك المتوج، الذي طالما هتفت الكامب نو باسمه كإله كروي، يُعامل الآن كغريب منبوذ يُصفر عليه مع كل لمسة للكرة. كانت اللقطة قاسية، ووجه ميسي الصامت كان يخفي ألماً يفوق ألم الهزائم، إدراكاً منه بأنه في باريس مجرد صفقة تجارية كبرى، وليس "الابن" الذي سيُغفر له كل شيء كما كان في كتالونيا.

وبينما كانت معاناة الأندية تعتصر روح الثنائي، كان الملاذ الوحيد المتبقي لهما، والنافذة الوحيدة التي يتنفسان منها، هي المنتخبات الوطنية. في

مفارقة عجيبة، بينما كانا يعيشان أسوأ فتراتهما مع الأندية، كانا يجدان  
الدفع المطلق مع قمصان بلادهما

نجح كريستيانو في انتشار البرتغال من فخ الملحق الأوروبي القاتل، وقادهم  
بشق الأنف لحجز تذكرة التأهل إلى المونديال. أما ميسي، فقد أصبح  
زعيماً روحياً لمنتخب أرجنتيني متماسك يلعب من أجله. وتُوج مع بلاده  
ببطولة "الفييناليسيمو" (كأس الأبطال) في ملعب ويمبلي العريق بعد سحق  
إيطاليا، بطلة أوروبا، ليؤكد أن التانجو قادم بقوة لا يستهان بها

ومع انتهاء هذا الموسم الكروي المضطرب والحزين على مستوى الأندية،  
أدرك العمالقة أن هناك ضوءاً هائلاً ينتظرهما في نهاية النفق. لقد أصبحت  
كل المباريات المحلية، وكل الصراعات مع إدارات الأندية، مجرد تفاصيل  
هامشية. العالم بأسره أدار ظهره لأوروبا، ووجه أنظاره نحو الشرق  
الأوسط، نحو الصحراء التي ستشهد الحدث الاستثنائي

قطر ألفين واثنين وعشرين. أول كأس عالم يقام في الشتاء. النسخة الأخيرة  
التي سيقف فيها ميسي ورونالدو على المسرح الدولي. كانت المسرحية  
الأطول والأعظم في تاريخ الرياضة تقترب من فصلها الختامي الذي سيحسم  
الجدل الأبدي. هناك، في الدوحة، لا يوجد مجال للتعويض، ولا مكان  
للأعداء. إما الخلود المطلق كأعظم من لمس الكرة في التاريخ، أو حسرة  
أبدية ستلازم صاحبها حتى القبر

## الفصل الرابع والثلاثون: رمال الدوحة.. صدمة البدايات وانكسار القائد

في العشرين من نوفمبر لعام ألفين واثنين وعشرين، اتجهت أنظار مليارات البشر نحو شبه الجزيرة العربية. وسط رمال الدوحة وتحت أضواء ملاعبها المذهلة، انطلقت النسخة الثانية والعشرون من كأس العالم. لم تكن مجرد بطولة كروية، بل كانت بمثابة "محاكمة علنية وأخيرة" لأسطورتين سيطرا على اللعبة لعقدين من الزمان. هنا في قطر، سيُكتب السطر الأخير، ولا مجال للاستئناف.

دخل المنتخب الأرجنتيني البطولة مرتدياً ثوب المرشح الأول للقب. كتيبة متلاحمة، لا تُقهر، قادمة بسلسلة لاهزيمة بلغت ستاً وثلاثين مباراة متتالية. ميسي لم يعد ذلك القائد المنعزل المليء بالشكوك، بل أصبح الأب الروحي لجيل من الشباب، أمثال دي باول وإينزو فيرنانديز وجوليان ألفاريز، الذين صرحوا علانية بأنهم مستعدون "للموت في الملعب" من أجل أن يرفع ليو الكأس.

في الثاني والعشرين من نوفمبر، احتشدت الجماهير في ملعب لوسيل لمشاهدة نزهة أرجنتينية متوقعة أمام المنتخب السعودي. سجل ميسي مبكراً من ركلة جزاء، وبدا كل شيء يسير وفق الخطة. لكن ما حدث في الشوط الثاني كان واحداً من أعظم الزلازل في تاريخ المونديال. في غضون خمس دقائق مجنونة، سجل الأخضر السعودي هدفين تاريخيين بفضل صالح الشهري وسالم الدوسري.

أطلق الحكم الصافرة النهائية معلناً سقوط الأرجنتين المروع. عاد شبح الإحباطات ليخيم على وجه ميسي. العالم كله انتظر انهيار التانجو وعودة لعنة النهايات. لكن ميسي في المنطقة المختلطة لم يبك ولم يهرب، بل وقف

بثبات وأطلق تصريحاً حاسماً غير مسار البطولة: "لا توجد أعذار، إنها ضربة قاسية جداً. لكن أقول للجماهير: ثقوا بنا، هذه المجموعة لن تخذلكم".

كانت المباراة الثانية ضد المكسيك بمثابة "نهائي مبكر" ومعركة بقاء. الشوط الأول انتهى بالتعادل السلبي وسط توتر خانق. إذا تعادلت أو خسرت الأرجنتين، ستودع المونديال. وفي الدقيقة الرابعة والستين، عندما كانت القلوب تبلغ الحناجر، استلم ميسي الكرة خارج منطقة الجزاء. لم يفكر مرتين، أطلق تسديدة أرضية زاحفة ومباغثة، شقت طريقها كالسهم لتسكن الشباك المكسيكية.

انفجر ملعب لوسيل، وركض ميسي نحو الجماهير يصرخ بملء فيه، بينما التقطت الكاميرات مساعد المدرب، بابلو أيمار (قدوة ميسي في طفولته)، وهو يجهد بالبكاء على دكة البدلاء من شدة الضغط الذي انزاح عن كواهلهم. هذا الهدف أنقذ مسيرة الأرجنتين، وأعاد الروح لجسد التانجو ليعبروا دور المجموعات بنجاح.

على الجانب الآخر، كانت رحلة كريستيانو رونالدو في المونديال أشبه بالسير حافياً على الزجاج المكسور. وصل البرتغالي إلى قطر وسط عاصفة إعلامية غير مسبوقة، بعد أن أجرى مقابلة تلفزيونية متفجرة مع الصحفي بيري مورجان، هاجم فيها ناديه مانشستر يونايتد ومدربه بقسوة. وخلال أيام المونديال الأولى، أعلن النادي الإنجليزي فسخ عقد رونالدو. دخل كريستيانو كأس العالم وهو "لاعب بلا نادٍ"، في سابقة تاريخية للاعب بحجمه.

رغم العواصف، بدأ كريستيانو البطولة بتسجيل هدف من ركلة جزاء أمام غانا، ليحفر اسمه بأحرف من نور كأول لاعب في تاريخ البشرية يسجل في خمس نسخ مختلفة من كأس العالم. لكن خلف هذا الرقم القياسي، كانت هناك شرح يزداد اتساعاً بين القائد ومدربه فرناندو سانتوس.

في المباراة الأخيرة من دور المجموعات ضد كوريا الجنوبية، استُبدل رونالدو وخرج غاضباً، متمتماً بكلمات فُسرت على أنها إهانة للمدرب. وهنا، اتخذ سانتوس قراراً كان يعتبر حتى تلك اللحظة من المحرمات الكروية.

في دور الستة عشر ضد سويسرا، أعلنت التشكيلة الرسمية للبرتغال:  
**إكريستيانو رونالدو على مقاعد البدلاء**

أثناء عزف النشيد الوطني، حدث مشهد سريالي. مئات المصورين الصحفيين أداروا ظهورهم للملعب وللاعبين الأساسيين الـ11، وتجمعوا في كتلة ضخمة أمام دكة البدلاء لالتقاط صورة لوجه رونالدو وهو يجلس احتياطياً في مباراة إقصائية بكأس العالم لأول مرة منذ عام 2008.

كانت المفارقة القاسية أن بديله الشاب، جونسالو راموس، قدم مباراة خرافية وسجل ثلاثة أهداف (هاتريك)، لتكتسح البرتغال سويسرا بصداسية. دخل كريستيانو في الدقائق الأخيرة، وحاول التسجيل، لكن هدفه ألغى بداعي التسلل. ومع إطلاق صافرة النهاية، وبينما كان لاعبو البرتغال يحتفلون مع الجماهير بشكل هستيري، التقطت الكاميرات كريستيانو وهو يمشي وحيداً، منكسر الرأس، ويغادر أرض الملعب نحو غرف الملابس بمفرده.

وصل العمالقة إلى الدور ربع النهائي، لكن بمسارات متناقضة بشكل يدمي القلوب. ميسي تحول إلى الشمس التي تدور حولها كواكب الأرجنتين، معشوقاً ومحمولاً على الأعناق. بينما وجد رونالدو نفسه غريباً في وطنه، يحارب مدربه، ويصارع جسده الذي بدأ يفقد سرعته، ويشاهد فريقه يتألق بدونه.

اقتربت ساعات الحسم. الأرجنتين تستعد لموقعة انتقامية ضد هولندا، والبرتغال تصطدم بـ "أسود الأطلس"، المنتخب المغربي الذي كان يكتب المعجزات في تلك البطولة. كانت الكواليس تجهز لليالي من الدموع، والدراما، وحبس الأنفاس، في ربع نهائي سيغير مجرى التاريخ للأبد

## الفصل الخامس والثلاثون: دموع النفق المظلم ومعركة لوسيل الدامية

في العاشر من ديسمبر لعام ألفين واثنين وعشرين، وتحت سماء ملعب "الثمامة" في العاصمة القطرية الدوحة، كان التاريخ يكتب سطورَه الأقسى والأكثر سخرية في مسيرة كريستيانو رونالدو. أوقعت قرعة ربع النهائي المنتخب البرتغالي في مواجهة "أسود الأطلس"، المنتخب المغربي الذي تحول إلى ظاهرة الموندiales، والمدعوم بموازرة جماهيرية عربية جعلته يلعب وكأنه في شوارع الدار البيضاء.

للمباراة الثانية على التوالي، وجد رونالدو نفسه جليسا على مقاعد البدلاء. وقف خارج خطوط الملعب، يراقب بقلق فريقا مغربيا يدافع باستماتة المحاربين. وفي الدقيقة الثانية والأربعين، حدثت لقطة بدت وكأنها استعارة شعرية من القدر؛ ارتقى المهاجم المغربي يوسف النصيري في الهواء لمسافة خرافية، متفوقا على الحارس والمدافعين، ليسجل هدف التقدم برأسية مذهلة. لقد ضربت البرتغال بنفس السلاح الذي طالما استخدمه كريستيانو لتدمير خصومه: قفزة تتحدى الجاذبية الأرضية.

مع بداية الشوط الثاني، أدرك المدرب البرتغالي أن سفينته تغرق، فقرر إلقاء طوق النجاة الأخير. أشار إلى كريستيانو بالدخول. نزل القائد إلى أرض الملعب وسط هتافات مختلطة، وحاول بكل ما أوتي من قوة. ركض، طلب الكرة، وسدد، لكن دفاع المغرب، بقيادة الحارس المتألق ياسين بونو، كان سدا منيعا لا يمكن اختراقه.

مرت الدقائق ثقيلة، وأطلق الحكم صافرة النهاية، معلنا الإنجاز التاريخي للمغرب كأول منتخب عربي وإفريقي يبلغ نصف النهائي، ومعلنا في ذات

اللحظة نهاية حلم كأس العالم بالنسبة لأحد أعظم من لمسوا الكرة في التاريخ.

بينما كانت احتفالات اللاعبين المغاربة تزلزل الملعب، التقطت الكاميرات المشهد الذي أدمى قلوب عشاق اللعبة في كل مكان. لم ينتظر كريستيانو زملائه، ولم يتبادل القمصان. سار وحيدا نحو النفق المؤدي إلى غرف الملابس. وفي تلك الأمتار القليلة والمظلمة، انهارت دفاعات المحارب الصلب. وضع يده على وجهه، وانخرط في نوبة بكاء مريرة وعميقة. كانت تلك الدموع هي إعلان الاستسلام النهائي أمام الزمن، وإدراكا قاسيا بأن الكأس الذهبية التي طالما حلم برفعها، ستبقى السراب الوحيد الذي لم يتمكن من الإمساك به. غادر كريستيانو المونديال من الباب الخلفي، تاركا خلفه إرثا أسطوريا، ونهاية تراجيدية لا تليق بحجم مسيرته.

في الليلة التي سبقت هذا الوداع الحزين، وتحديدًا في التاسع من ديسمبر، كان ملعب "لوسيل" مسرحًا لملمحة كروية من نوع آخر تمامًا؛ معركة دموية شرسة بين الأرجنتين وهولندا، لم تكن مجرد مباراة في كرة القدم، بل كانت تصفية حسابات قديمة.

قبل المباراة، أدلى لويس فان خال، المدرب الهولندي المخضرم، بتصريحات قلل فيها من شأن ليونيل ميسي، مشيرًا إلى أنه لا يشارك في استعادة الكرة ولا يركض كثيرًا، ولمحا إلى قدرة هولندا على إيقافه. هذه الكلمات لم تمر مرور الكرام على الفتى الأرجنتيني؛ بل أشعلت نارا في صدره لم يرها العالم من قبل.

بدأت المباراة، وقرر ميسي الرد في الميدان. في الشوط الأول، ووسط حصار هولندي، استلم الكرة، وركض عرضيا، ثم مرر تمريرة سحرية

عمياء (دون أن ينظر) شقت دفاعات هولندا بأكملها لتجد الظهير ناهاويل مولينا الذي أسكنها الشباك. وفي الشوط الثاني، حصلت الأرجنتين على ركلة جزاء، تقدم لها ميسي وسجلها بهدوء قاتل.

هنا، توجه ميسي نحو دكة بدلاء هولندا، ووقف أمام المدرب فان خال مباشرة، ووضع يديه خلف أذنيه في الاحتفال الشهير المعروف باسم (توبو جيجيو). كان هذا الاحتفال هو ذاته الذي كان يفعله النجم الأرجنتيني السابق خوان رومان ريكيلمي، والذي عانى من التهميش وسوء المعاملة على يد فان خال قديما في برشلونة. لقد كان ميسي ينتقم لنفسه ولأبناء وطنه في لقطة أثبتت أنه تخلى عن هدونه الملائكي وارتدى عباءة التمرد.

لكن الهولنديين لم يستسلموا. في الدقائق الأخيرة من المباراة، وفي دراما مجنونة، سجل المهاجم العملاق فاوت ويغورست هدفين، أحدهما من خدعة ذكية في الثواني الأخيرة من الوقت بدل الضائع، ليتمد اللقاء إلى الأشواط الإضافية ثم إلى ركلات الترجيح.

بلغ التوتر ذروته، واشتعلت المشاحنات والاشتباكات بالأيدي بين لاعبي الفريقين. وفي ركلات المعاناة، ظهر البطل الأرجنتيني الجديد، الحارس إيميليانو مارتينيز، ليتصدى لركلتين، ويمنح الأرجنتين بطاقة العبور إلى نصف النهائي.

انفجر الملعب، لكن الحرب لم تنته بصافرة الحكم. أثناء إجراء ميسي لمقابلة تلفزيونية بعد المباراة، مر من أمامه المهاجم الهولندي ويغورست وكان ينظر إليه. قطع ميسي مقابله، ونظر إلى الهولندي نظرة غاضبة، وأطلق جملته الشهيرة التي تحولت إلى أيقونة عالمية: "إلى ماذا تنظر أيها!! الأحمق؟ اذهب، اذهب من هنا".

رأى الأرجنتينيون في تلك الليلة ميسي الذي طالما انتظروه. لم يعد الفتى الخجول المهذب الذي يطأطأ رأسه عند الاستفزاز، بل تحول إلى قائد شرس، يقاتل بالكلمات والأقدام، ويدافع عن فريقه بضراوة تشبه ضراوة ديبجو مارادونا

بينما كان جسد غريمه البرتغالي ينهار بالبكاء في نفق الثمامة المظلم، كان ميسي يشتعل بنار الغضب والتحدي في لوسيل. وصل القائد الأرجنتيني إلى المربع الذهبي، بخطوات تفصله عن المجد المطلق، جاهزا لحرق أي خصم يقف بينه وبين الكأس التي تناديه منذ طفولته

## الفصل السادس والثلاثون: رقصة الساحر الأرجنتيني والموعد مع القدر

في الثالث عشر من ديسمبر، عاد المنتخب الأرجنتيني إلى مسرح "لوسيل" لخوض معركة نصف النهائي. الخصم هذه المرة لم يكن عادياً، بل كان المنتخب الكرواتي العنيد بقيادة المايسترو لوكا مودريتش. كرواتيا لم تكن مجرد حصان أسود، بل كانت الفريق الذي أقصى البرازيل المرعبة في ربع النهائي، واعتاد على جر خصومه إلى الأشواط الإضافية وخنقهم تكتيكياً بفضل خط وسطها الفولاذي.

كان العالم يخشى على الأرجنتين من الإرهاق البدني بعد الملحمة البدنية والنفسية أمام هولندا، لكن ميسي ورفاقه دخلوا أرض الملعب بشعار واحد: "لا تراجع خطوة واحدة للوراء".

بدأت المباراة بحذر شديد، حتى جاءت الدقيقة الرابعة والثلاثون. انطلق المهاجم الشاب جوليان ألفاريز واخترق الدفاع الكرواتي ليتعرض لعرقلة من الحارس ليفاكوفيتش؛ ركلة جزاء للأرجنتين. تقدم ليونيل ميسي لتنفيذها. كان يعلم أن الحارس الكرواتي هو بطل ركلات الترجيح وأحد أفضل حراس البطولة. لم يتردد ميسي، ولم يلجأ للمكر، بل سدّد الكرة بقوة مدفعية وانفجارية لتسكن سقف الزاوية اليمنى العليا. هدف أول أزاح جبلاً من الضغوط.

بعدها بدقائق معدودة، قدم ألفاريز لقطة مارادونية أخرى؛ استلم الكرة من قبل منتصف الملعب، وانطلق كالنور الهائج متجاوزاً المدافعين ومستفيداً من ارتدادات الكرة حتى أسكنها الشباك. انتهى الشوط الأول بتقدم مريح للأرجنتين، لكن اللقطة التي ستُخذل في أرشيف كؤوس العالم لم تكن قد حدثت بعد.

في الشوط الثاني، وتحديدًا في الدقيقة التاسعة والستين، قرر ميسي البالغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً أن يقدم درساً قاسياً في عبقرية المراوغة. استلم الكرة بالقرب من خط التماس على الرواق الأيمن، ووجد أمامه المدافع الكرواتي الشاب "يوشكو جفارديول"، البالغ من العمر عشرين عاماً فقط. كان جفارديول، الذي يرتدي قناعاً واقياً على وجهه، يُصنف حتى تلك اللحظة كأفضل مدافع في البطولة؛ أطول، أقوى بدنياً، وأصغر بخمسة عشر عاماً من القائد الأرجنتيني.

انطلق ميسي بالكرة، وتبعه جفارديول كظله. توقف ميسي فجأة، ثم استدار وعاد للخلف، لكن المدافع الكرواتي الشرس ظل ملتصقاً به. هنا، أظهر ميسي سحره القديم الذي اعتقد البعض أنه فقدته بحكم السن. بتغيير مذهل لسرعته وانخفاض مرعب في مركز ثقله، التف ميسي حول المدافع الشاب وراوغه على الخط الجانبي بطريقة مهينة، متجاوزاً إياه كأنه شبح غير مرئي. اقتحم منطقة الجزاء، وأرسل تمريرة عرضية حريرية إلى الفاريز الذي وضع الكرة في الشباك بهدوء. الهدف الثالث، ورصاصة الرحمة.

انفجر ملعب لوسيل بالهتافات، وتصدرت لقطة مراوغة ميسي للمدافع المقنع شاشات العالم. كانت اللقطة بمثابة رسالة واضحة: "الزمن قد يسرق". "سرعتي، لكنه لن يسرق سحري أبداً".

أطلق الحكم صافرة النهاية (ثلاثة - صفر)، لتتأهل الأرجنتين إلى المباراة النهائية. وقف ميسي أمام المدرجات المشتعلة باللونين الأزرق والأبيض، يبتسم بصفاء وسلام داخلي لم يشعر به منذ سنوات طويلة بقميص التانجو.

وفي المنطقة المختلطة بعد المباراة، حدث موقف إنساني لخص علاقة الأرجنتين بقائدها. وقفت المراسلة الأرجنتينية "صوفيا مارتينيز" أمام ميسي لإجراء مقابلة، وبدلاً من أن تسأله عن التكتيك أو المباراة، نظرت في عينيه وقالت بكلمات عاطفية صادقة: "النتيجة يوم الأحد لا تهم حقاً. أريد أن أخبرك أنك قد تركت بصمتك في قلب كل أرجنتيني، وهذا أكبر من الفوز بكأس العالم. ليس هناك طفل في بلادنا لا يملك قميصك. لقد منحتنا السعادة، وهذه الكأس (محببة الناس) قد فزت بها بالفعل، ولا أحد يستطيع أن يأخذها منك".

تلمعت عينا ميسي متأثراً، وظهرت على وجهه ابتسامة خجولة وممتنة. لقد أدرك أخيراً أنه لم يعد بحاجة للفوز ليثبت انتماءه؛ لقد أصبح أيقونة محبوبة. بغض النظر عن النتيجة

ولكن، التنازل عن اللقب لم يكن في حسابات الفتى الذي عانى الأمرين للوصول إلى هذه النقطة مجدداً. في اليوم التالي، فازت فرنسا المدافعة عن اللقب على أسود الأطلس، لتُضرب موعداً تاريخياً في المباراة النهائية

لم يكن النهائي مجرد مباراة بين دولتين، بل كان أشبه بصدام أسطوري بين جيلين. ليونيل ميسي، الملك المتوج الذي يسعى لختم مسيرته بأعلى الألقاب في "رقصته الأخيرة"، وجهاً لوجه ضد كيليان مبابي، الأمير الفرنسي الشاب المندفع بسرعة البرق، والذي يسعى للاستيلاء على العرش وتحقيق لقبه المونديالي الثاني وهو في الثالثة والعشرين من عمره فقط

العالم كله توقف عن التنفس. الثامن عشر من ديسمبر. ملعب لوسيل. مسرح الأحلام والدموع يجهز نفسه لاستضافة ما سيُعرف لاحقاً بأنه "أعظم مباراة كرة قدم لعبت في تاريخ البشرية

## الفصل السابع والثلاثون: نهائي لوسيل.. أعظم مباراة في تاريخ البشرية

الثامن عشر من ديسمبر لعام ألفين واثنين وعشرين. أسدل الستار على مسرح "لوسيل" الذهبي، واحتشد قرابة التسعين ألف متفرج في المدرجات، بينما تسمر أكثر من مليار ونصف إنسان خلف الشاشات. العالم بأسره توقف عن الدوران. إنها الليلة الموعودة، نهائي كأس العالم. الأرجنتين الباحثة عن المجد الغائب منذ عهد مارادونا، في مواجهة فرنسا المدافعة عن لقبها والمدججة بترسانة من النجوم يقودها الشاب الخارق كيليان مبابي.

نزل ليونيل ميسي إلى أرض الملعب، وعيناه لا تفارقان الكأس الذهبية الموضوع على منصة الدخول. كان يعلم أنها "الرقصة الأخيرة"، تسعون دقيقة فقط تفصله عن الخلود المطلق أو حسارة أبدية.

أطلق الحكم البولندي شيمون مارشينياك صافرة البداية، وبدأت الأرجنتين المباراة وكأنها إحصار لا يبقي ولا يذر. فاجأ المدرب الأرجنتيني ليونيل سكالوني الجميع بالدفع بالجنح المخضرم أنخيل دي ماريا كأساسي على الرواق الأيسر. كان دي ماريا بمثابة كابوس للدفاع الفرنسي. في الدقيقة الثالثة والعشرين، تلاعب دي ماريا بعثمان ديمبلي داخل منطقة الجزاء ليحصل على ركلة جزاء. تقدم ميسي، وببرود أعصاب قاتل، أرسل الحارس هوجو لوريس إلى زاوية ووضع الكرة في الزاوية الأخرى. تقدمت الأرجنتين، واشتعل الملعب.

لم تتوقف الماكينة الأرجنتينية. في الدقيقة السادسة والثلاثين، ومن هجمة مرتدة تُدرس في كتب التكتيك، لمسات سريعة بلمسة واحدة بين ميسي وألفاريز وماك أليستر، انتهت بتمريرة حريرية إلى دي ماريا الذي أودعها

الشباك وعيونه تفيض بالدموع قبل حتى أن يحتفل. اثنان صفر للأرجنتين، وفرنسا تبدو وكأنها شبح لا حول له ولا قوة، لدرجة أن المدرب ديديه ديشان أجرى تبديلين قبل نهاية الشوط الأول في سابقة نادرة بالنهايات.

مرت الدقائق في الشوط الثاني، وبدا أن الأرجنتين في طريقها لحسم اللقب بسهولة تامة. الجماهير بدأت في الاحتفال، واللاعبون على دكة البدلاء يستعدون لاقتحام الملعب. لكن، وفي الدقيقة الثمانين، استيقظ الوحش الفرنسي الكامن.

خطأ ساذج من المدافع الأرجنتيني أوتاميندي أسفر عن ركلة جزاء لفرنسا. تقدم كيليان مبابي، وسددها بقوة لتسكن الشباك رغم محاولة الحارس إيميليانو مارتينيز. هدف قلص الفارق، لكن ما حدث بعده بسبع وتسعين ثانية فقط كان ضرباً من الجنون الخالص.

استخلص الفرنسيون الكرة من ميسي في منتصف الملعب، وتبادلوا تمريرات سريعة لتصل الكرة مجدداً إلى مبابي داخل منطقة الجزاء. لم يروضها، ولم ينتظر نزولها للأرض، بل سددها مباشرة (على الطائر) صاروخية قاتلة سكنت الشباك الأرجنتينية.

اثنان مقابل اثنان! في أقل من دقيقتين، انهار الحلم الأرجنتيني وتحول إلى كابوس مرعب. سقط لاعبو الأرجنتين على الأرض من هول الصدمة، وعادت أشباح الماضي لتطارده ميسي. الكاميرات التقطت وجهه؛ كان مصدوماً، لكنه هذه المرة لم ينكسر. لم يخفض رأسه كما فعل في ألفين وأربعة عشر، بل نهض وبدأ يصفق لزملائه مطالباً إياهم بالتماسك.

امتدت المباراة للأشواط الإضافية، واستعادت الأرجنتين زمام المبادرة. وفي الدقيقة المائة وثمانية، هجمة مرتدة أرجنتينية، يسدد لاوتارو مارتينيز بقوة، يتصدى لها لوريس لترتد الكرة.. وهناك، حيث يتواجد دائماً، انقض ميسي على الكرة وتابعها بقدمه اليمنى لتتجاوز خط المرمى بسنتيمترات قليلة قبل أن يبعدها المدافع.

ثلاثة مقابل اثنين! جنون في المدرجات. ميسي يسجل في الأشواط الإضافية للنهائي! اعتقد الجميع أن القصة قد انتهت أخيراً. لكن القدر كان يخبئ المزيد من السادية. في الدقيقة المائة وثمانية عشر، تسديدة من مبابي! تصطدم بذراع المدافع مونتييل.. ركلة جزاء جديدة لفرنسا في الوقت القاتل

يتقدم مبابي مجدداً، يسجل بثبات، ويحرز (هاتريك) تاريخي في نهائي المونديال. ثلاثة مقابل ثلاثة. انفلتت الأعصاب، والقلوب كادت أن تتوقف.

وفي الدقيقة المائة والثلاثة والعشرين (الثالثة من الوقت بدل الضائع في الشوط الإضافي الثاني)، حدثت اللقطة التي أوقفت نبض الأرجنتين بأكملها. انفراد تام للمهاجم الفرنسي كولو مواني وجهاً لوجه مع الحارس مارتينيز. مواني يسدد بكل قوة من مسافة قريبة جداً.. وفي رد فعل إعجازي ومخالف للطبيعة البشرية، يمد مارتينيز قدمه اليسرى بأقصى امتداد لها ليصد الكرة ويمنع هدفاً محققاً مائة بالمائة. إنها "تصدي القرن"، اللقطة التي أنقذت مسيرة ميسي من نهاية مأساوية.

أطلق الحكم الصافرة. ركلات المعاناة الترجيحية ستحدد بطل العالم.

تقدم مبابي وسجل الركلة الأولى لفرنسا بصعوبة. جاء الدور على القائد ميسي. مشى بهدوء مخيف، انتظر حتى ارتدى لوريس، ودحرج الكرة ببطء شديد في الشباك. هدف التعادل وتصدير الضغط للفرنسيين.

هنا، بدأ الحارس "ديبو" مارتينيز في ممارسة ألعبيه النفسية وحروبه الذهنية. تصدى للركلة الثانية من كينجسلي كومان، ثم ألقى الكرة بعيداً قبل ركلة تشواميني ليشئت تركيزه، ليسددها الفرنسي خارج المرمى تماماً.

سجل ديبالا وباريديس للأرجنتين، وكولو مواني لفرنسا. والآن، الركلة الرابعة للأرجنتين، بقدّم المدافع جونزالو مونتيل (الذي تسبب في ركلة الجزاء الأخيرة لفرنسا). إذا سجلها، تنتهي القصة.

وقف ميسي في دائرة المنتصف، محتضناً زملائه، ونظر إلى السماء متمتماً بكلمات خافتة وكأنه يناجي ديجو مارادونا وجدته التي آمنت به صغيراً. تقدم مونتيل، سدّد الكرة في الزاوية اليسرى، وهزت الشباك.

.انتهى كل شيء. الأرجنتين بطلة للعالم.

انهار ليونيل ميسي على ركبتيه في منتصف ملعب لوسيل، سقط كما لم يسقط من قبل، لكنه سقوط التتويج والخلّاص. انقض عليه جميع زملائه في كومة بشرية مجنونة وهم يبكون. لقد رُفِع الحصار عن روحه، وانكسرت اللعنة التي طارده طوال حياته. في تلك اللحظة، لم يكن ميسي مجرد لاعب كرة قدم فاز ببطولة، بل كان إنساناً انتصر في أعظم معركة صمود ضد القدر والزمن والضغط، ليتربع وحيداً، وبلا أي منازع، على عرش كرة القدم كأعظم من لمسها منذ فجر التاريخ.

## الفصل الثامن والثلاثون: عبادة المجد.. ووداع القارة العجوز

بعد صافرة النهاية في لوسيل، تحول الملعب إلى ساحة من المشاعر المختلطة التي لا يمكن وصفها بالكلمات. بينما كان لاعبو فرنسا يجرون أذيال الخيبة، كانت الأرجنتين تعيش حالة من النشوة الصافية. جاءت لحظة التتويج، اللحظة التي انتظرها ليونيل ميسي طوال حياته، والتي كاد أن يفقد الأمل في الوصول إليها.

صعد الفتى الأرجنتيني إلى المنصة الشرفية بخطوات بطيئة، وكأنه يريد أن يطبع كل ثانية من هذا المشهد في ذاكرته للأبد. وقبل أن يتسلم الكأس الذهبية، حدث مشهد فريد سيظل خالدًا في تاريخ بطولات كأس العالم. تقدم أمير دولة قطر نحو ميسي، وألبسه "البشت" العربي الأسود المزين بالخيوط الذهبية، وهو رداء يرمز للوجاهة والملك والاحتفاء بالضيوف العظماء في الثقافة العربية.

ارتدى ميسي عبادة المجد، وتقدم نحو زملائه الذين كانوا يترقبونه بفارغ الصبر. رفع الكأس الذهبية عاليًا في سماء الدوحة، لتنفجر الألعاب النارية وتصدح الموسيقى، في صورة أيقونية طافت العالم بأسره؛ ملك متوج بعبادة عربية وكأس ذهبية، ينهي بها جدلاً استمر لسنوات طويلة حول أحقيته بلقب الأعظم في التاريخ.

في اليوم التالي، عادت البعثة الأرجنتينية إلى العاصمة بوينس آيرس. ما حدث هناك لم يكن مجرد احتفال رياضي، بل كان أكبر تجمع بشري في تاريخ البلاد. خرج أكثر من خمسة ملايين أرجنتيني إلى الشوارع والميادين، يحيطون بالحافلة المكشوفة التي تقل الأبطال. توقفت الحياة تمامًا، وأعلن يوم عطلة وطنية. أدرك ميسي وهو ينظر إلى بحر الجماهير

من أعلى الحافلة أنه لم يعد مجرد لاعب كرة قدم بالنسبة لهم، بل أصبح رمزا وطنيا موازيا للأسطورة الراحل ديبجو مارادونا. لقد أوفى بوعدده، وجلب النجمة الثالثة لقميص التانجو.

ولكن، بينما كان ميسي يعيش أزهى أيام حياته، كان الغريم البرتغالي كريستيانو رونالدو يمر بواحدة من أصعب فترات مسيرته. بعد الخروج المرير من المونديال وفسخ عقده مع مانشستر يونايتد، وجد رونالدو نفسه بلا ناد للمرة الأولى في حياته الاحترافية. أغلقت الأندية الأوروبية الكبرى أبوابها في وجه المحارب البالغ من العمر سبعة وثلاثين عاما، إما بسبب راتبه الضخم أو لعدم توافقه مع خططهم التكتيكية الحديثة.

كان العالم يتربص خطوة كريستيانو القادمة. وفي الأيام الأخيرة من عام ألفين واثنين وعشرين، صدر الإعلان الذي شكل صدمة مدوية وزلزالا في سوق الانتقالات العالمية. أعلن نادي النصر السعودي تعاقدته رسميا مع الأسطورة البرتغالية في صفقة تاريخية غير مسبوقة.

لم يكن انتقال رونالدو إلى شبه الجزيرة العربية مجرد صفقة رياضية، بل كان إعلانا غير رسمي بنهاية حقبة الأوربية التي دمر فيها كل الأرقام القياسية. ارتدى كريستيانو القميص الأصفر والأزرق، وفتح بقدمه الباب على مصراعيه لثورة كروية في الدوري السعودي، جاعلا من نفسه رائدا لمشروع رياضي ضخم جذب لاحقا العشرات من نجوم الصف الأول في أوروبا.

على الجانب الآخر، عاد ميسي إلى باريس بعد المونديال، لكن الأمور لم تكن على ما يرام. زادت حدة التوتر بينه وبين الجماهير الفرنسية، خاصة بعد أن هزم منتخب بلادهم في النهائي المونديالي. ومع انتهاء عقده في

صيف عام ألفين وثلاثة وعشرين، أدرك ميسي أن رحلته في العاصمة الفرنسية قد وصلت إلى نهايتها الحتمية.

انتظر عشاق برشلونة عودة الابن الضال إلى معقله التاريخي، لكن الإدارة الكتالونية استمرت في تخطيطها المالي، ولم تقدم ضمانات حقيقية لتسجيل عقده. ولأنه لم يرغب في تكرار مأساة الرحيل الباكية، أو أن يكون سببا في بيع لاعبين آخرين لتوفير راتبه، اتخذ ميسي قرارا شجاعا ومفاجئا

أعلن الفتى الأرجنتيني انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتحديدًا للعب بقميص نادي إنتر ميامي. اختار ميسي الهدوء، والابتعاد عن ضغوط الصحافة الأوروبية الخانقة، مفضلًا قضاء سنواته الأخيرة في بيئة تناسب عائلته وتسمح له بالاستمتاع بكرة القدم بعيدا عن المطالبات الأسبوعية بتحقيق المستحيل.

بصعود ميسي إلى طائرته المتجهة نحو مدينة ميامي الأمريكية، ووجود كريستيانو رونالدو في العاصمة السعودية الرياض، أسدل الستار رسميا على أطول وأعظم حقبة في تاريخ كرة القدم الأوروبية. لقد غادر الثنائي القارة العجوز بعد أن حطما كل أرقامها، واحتكرا كراتها الذهبية، وحوالا دوري أبطال أوروبا إلى مسرح لبطولتهما الشخصية.

لم تعد أوروبا كما كانت بعد رحيلهما، فقد تركت مغادرتهم فراغا شاسعا في قلوب الملايين، إيدانا ببداة شتاء العمر لأسطورتين أثبتا أن المستحيل ليس سوى كلمة يمكن محوها بالعمل الشاق والعبقرية الفطرية

## الفصل التاسع والثلاثون: إرث الخلود.. ما بعد صافرة النهاية

مع استقرار ليونيل ميسي تحت شمس ولاية فلوريدا الأمريكية، وبداية كريستيانو رونالدو لرحلته بين رمال شبه الجزيرة العربية، أدرك العالم أن "كتاب الأعظم" قد طويت صفحاته التنافسية المباشرة. لم تعد هناك مباريات كلاسيكو تجمع بينهما، ولم تعد هناك كرات ذهبية يتصارعان عليها في العواصم الأوروبية. انتقل الثنائي من مرحلة "المحاربين" إلى مرحلة "الحكماء" أو سفراء اللعبة، ليستمتعا بما تبقى من شغف طفولي تجاه الركن خلف الكرة بعيدا عن ضغوطات القارة العجوز القاتلة.

لكن، ماذا تركا خلفهما؟ لقد تركا إرثا يثقل كاهل أي لاعب يجروا على حلم الوصول إلى القمة. قبل حقبة ميسي ورونالدو، كان تسجيل خمسة وعشرين هدفا في الموسم الواحد إنجازا يضمن للمهاجم لقب الهدف وربما الكرة الذهبية. أما هما، فقد أعادا كتابة مقاييس المنطق الرياضي؛ فأصبح تسجيل أربعين وخمسين هدفا هو "المعدل الطبيعي"، وأي تراجع عن هذا الرقم كان يعتبر فشلا أو بداية للنهاية. لقد رفعا سقف التوقعات إلى حد الجنون، وجعلا من الكمال الكروي عادة أسبوعية مملة من شدة تكرارها.

يكمن الجمال الحقيقي في هذه الحقبة في ذلك التناقض الفلسفي البديع بينهما. لم يكونا مجرد لاعبين، بل كانا يمثلان عقيدتين مختلفتين في الحياة. ليونيل ميسي، الفتى الخجول والموهبة الفطرية الصافية، يجسد فكرة "السحر الإلهي"؛ ذلك العبقرى الذي يفعل الأشياء المعقدة بانسيابية تجعلك تظن أن كرة القدم هي أسهل لعبة في الوجود. وعلى النقيض، كان كريستيانو رونالدو، المحارب المتغطرس والآلة البدنية، يجسد فكرة "الانتصار البشري"؛ الدليل القاطع على أن الاجتهاد والعمل الشاق

والانضباط الحديدي يمكن أن يكسر كل الحدود ويصنع المعجزات، حتى لو لم تولد بأكبر قدر من الموهبة

هذا التناقض هو ما قسم كوكب الأرض إلى نصفين لعقد ونصف من الزمان. كل مشجع لكرة القدم كان يجب أن يختار معسكرا. الصراع بين عشاقهما لم يكن مجرد نقاش رياضي، بل كان حربا أيديولوجية على المقاهي، وفي المدارس، وعبر منصات التواصل الاجتماعي. لقد جعل العالم بأكمله يعيش في حالة استقطاب ممتعة، استقطاب لن يتكرر أبدا

واليوم، بينما ينظر الجيل الجديد من النجوم، أمثال كيليان مبابي وإيرلينج هالاند، إلى العرش الشاغر في أوروبا، يدركون جيدا أنهم مهما حققوا من بطولات وأهداف، سيتم وضعهم دائما في مقارنة ظالمة مع أشباح ميسي ورونالدو. قد يفوز أحدهم بكأس العالم، وقد يحطم الآخر أرقام دوري الأبطال، لكن أن يظهر لاعبان، بنفس هذا القدر من العظمة، يتنافسان وجها لوجه، في نفس الدوري، ولخمس عشرة عاما متتالية دون لحظة توقف أو ملل، فهذا ضرب من المستحيلات الرياضية

لقد استنزف هذا الثنائي بعضهما البعض، وبدونهما لم يكن أي منهما ليصل إلى ما وصل إليه. اعترف كلاهما، في لحظات نادرة من الصدق والتجرد، بأن الآخر كان هو الوقود الذي يبقيه جانعا، وأن مجرد معرفة أن هناك وحشا يتدرب في مدريد أو ساحرا ينثر إبداعه في كتالونيا، كان كافيا لمنعهما من التراخي ولو ليوم واحد

تنتهي قصة ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو كأعظم رواية رياضية كُتبت في تاريخ البشرية. رواية مليئة بالدموع، والقفزات التي تتحدى الجاذبية، والمراوغات التي تسقط المدافعين، والأهداف القاتلة في الدقيقة التسعين.

لقد أعطيانا شبابهما، وعصارة جهدهما، وتركنا أمام حقيقة واحدة مؤكدة:  
قد تنجب كرة القدم أساطير جديدة، وقد نشهد متعة وإثارة في قادم  
المواعيد، لكننا أبداً، وأبداً، لن نرى حقبة تشبه حقبة الفضائي الأرجنتيني  
والآلة البرتغالية

انتهت المباراة، وأطلقت الصافرة الأخيرة للحقبة الذهبية، وستبقى ذكراها  
خالدة تتناقلها الأجيال كقصص الأساطير الخيالية

## الفصل الأربعون: العناق الأخير.. وأساطير تسكن الذاكرة

رغم انتقال الثنائي خارج القارة الأوروبية، وتوجه كل منهما إلى قارة مختلفة لإنهاء مسيرته، أبت الأقدار إلا أن تمنح العالم "رقصة أخيرة" داخل المستطيل الأخضر، رقصة خالية من ضغوطات البطولات وحسابات النقاط المعقدة، لتكون بمثابة مسك الختام لقصة صراع استمرت لأكثر من خمسة عشر عاما.

حدث ذلك في يناير من عام ألفين وثلاثة وعشرين، في العاصمة السعودية الرياض، في مباراة احتفالية كبرى جمعت بين فريق العاصمة الفرنسية، الذي كان يضم ليونيل ميسي آنذاك، وفريق مكون من نجوم الأندية السعودية بقيادة كريستيانو رونالدو. لم تكن مجرد مباراة ودية عابرة، بل كانت أشبه بحفل تكريم عالمي، التقت فيه الأسطورتان وجها لوجه للمرة الأخيرة أمام عدسات الكاميرات التي نقلت الحدث لملايين العشاق حول العالم.

في ممر غرف الملابس، وقبل انطلاق صافرة البداية، التقطت الكاميرات المشهد الذي أذاب الجليد وأنهى كل روااسب التوتر التنافسي القديم. اقترب ميسي ورونالدو من بعضهما البعض، وتعانقا بحرارة بالغة، وتبادلا الابتسامات الصادقة والأحاديث الجانبية الودية. لم يعد هناك ذلك البرود القديم أو النظرات المتربصة التي كانت تسبق مباريات الكلاسيكو في الملاعب الإسبانية. لقد أدرك كلاهما أنهما يقفان في المحطة الأخيرة من الرحلة، وأن ما يجمعهما من تاريخ، واحترام، ومعاناة مشتركة، يفوق أي منافسة أو ألقاب.

في تلك الليلة الشتوية، قدم الثنائي عرضاً ممتعاً؛ سجل ميسي هدفاً بلمسته الساحرة المعتادة، ورد رونالدو بتسجيل هدفين أثبتا أن ماكينة أهدافه لا تصدأ. لم يهتم أحد في المدرجات بنتيجة المباراة، ولم يتعصب مشجع لفريق على حساب الآخر. كان الهدف الأسمى للجميع هو الاستمتاع برؤية هذين العبقريين يركضان على نفس العشب، ويتبادلان النظرات للمرة الأخيرة.

هذا العناق الأخير في الصحراء كان بمثابة إعلان سلام نهائي، وشهادة ختامية لأعظم حقبة رياضية في التاريخ. لقد تركا خلفهما عالماً متيماً بكرة القدم، وجيلاً كاملاً من المشجعين الذين عاشوا طفولتهم ومراهقتهم وشبابهم على وقع أهدافهما، وتجادلوا لسنوات طوال في المقاهي والساحات حول من يستحق التاج.

في السنوات القادمة، وبعد أن تعلق الأحذية وتطوى القمصان في متاحف الأساطير، وعندما تشتعل رؤوس هذا الجيل من المشجعين بالشيب، سيجلسون مع أحفادهم ليقصوا عليهم حكايات أقرب إلى أساطير الخيال.

سيخبرونهم عن الفتى الأرجنتيني الضئيل الذي كان يروض الكرة وكأنها جزء من جسده، ويمر من المدافعين العمالقة وكأنه طيف لا يرى، محولاً المساحات الضيقة إلى لوحات فنية. وسيخبرونهم عن المحارب البرتغالي الذي حول جسده إلى آلة حيوية لا تقهر، وكان يطير في الهواء متحدياً قوانين الجاذبية ليسقط الخصوم بضربات مرعبة، رافضاً الاستسلام حتى في أحلك اللحظات.

"سيسأل الأحفاد بفضول بريء: "جدي، من كان الأفضل بينهما؟"

وحينها، سيبتسم الجد ابتسامة هادئة، تتداخل فيها ذكريات ليالي دوري الأبطال الصاخبة، وأهداف الثواني الأخيرة، وصخب الملاعب الإسبانية، وسيجيب بصوت يملؤه الحنين والرضا

لا يهم من كان الأفضل يا بني. الأهم هو أننا كنا محظوظين بما يكفي " لنعيش في زمانهما، ونبتنفس نفس الهواء الذي تنفساه. لقد كان أحدهما يمثل سحر السماء، والآخر يمثل قوة الأرض المستحيلة.. وبدونهما معا، لم تكن كرة القدم لتكون بهذا الجمال أبدا

وبهذه الكلمات، تُغلق دفتي الكتاب، وتسدل الستارة أخيرا على ملحمة ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو.. الأساطير التي لن ينساها التاريخ، ولن يمحوها الزمن

## الفصل الحادي والأربعون: ورثة العرش الفارغ.. وأمراء الجيل الجديد

بعد أن أُسدل الستار على مسرحية العظماء، وودع العالم حقبة الاحتكار الثنائي، استيقظت كرة القدم على واقع جديد يشوبه فراغ موحش ورهبة من المجهول. العرش الذي تقاسمه الغريمان لخمسة عشر عاما بات خاويا، والتاج الذهبي ملقى على قارعة التاريخ، ينتظر من يجروا على التقاطه. لم يكن السؤال الذي يتردد في الأوساط الرياضية "من سيكون الأفضل في العالم؟" بل كان سؤالا ممزوجا باليأس: "هل يمكن لأي بشري آخر أن يملأ هذا الفراغ الهائل؟"

كانت الجماهير قد أُصيبت بما يشبه "التخمة الكروية". لقد اعتادوا على رؤية المعجزات تُصنع أسبوعيا، وبات تسجيل ثلاثين هدفا في الموسم رقما عاديا لا يثير الإعجاب، بعد أن كان الثنائي الأسطوري يتجاوز حاجز الخمسين والستين هدفا وكأنه مجرد روتين يومي للذهاب إلى العمل. هذا السقف الجنوني الذي تركاه خلفهما أصبح بمثابة لعنة تطارد كل موهبة شاببة تخطو أولى خطواتها في الملاعب الأوروبية.

رغم قسوة المقارنات، لم تتوقف عجلة الزمن، وبدأت ملامح الحقبة الجديدة تتشكل بسرعة، ليظهر "أمراء جدد" يحاولون فرض سطوتهم وبناء ممالكهم الخاصة.

في طليعة هؤلاء الأمراء، وقف الفتى الفرنسي كيليان مبابي. انطلق بسرعة البرق، ممزقا شباك الخصوم ومظهرا نضجا استثنائيا منذ أن كان مرافقا. كان يمتلك سرعة وحشية وقدرة حاسمة أمام المرمى، ونجح في معانقة المجد المونديالي مبكرا، ليحمل على عاتقيه آمال جيل كامل في أن يكون الوريث الشرعي للكرة الذهبية والوجه الجديد لكرة القدم العالمية.

وعلى الضفة الأخرى، وفي الملاعب الإنجليزية، ظهر الوحش النرويجي إيرلينج هالاند. لم يكن هالاند لاعباً يميل إلى الاستعراض أو المراوغات المعقدة، بل كان آلة تسجيل أهداف مبرمجة لا ترحم. يمتلك بنية جسدية خارقة، وتمركزاً مربعاً داخل صندوق العمليات، يلتهم الأرقام القياسية في الدوري الإنجليزي ودوري أبطال أوروبا بطريقة أعادت للأذهان القوة الغاشمة والشراهة التهديفية التي ميزت جلاذ البرتغال في أوج عطائه.

وبجانب هذا الثنائي المرعب، بدأت مواهب أخرى في نثر سحرها؛ الشاب البرازيلي فينيسيوس جونيور الذي أعاد للملاعب روح "السامبا" والمراوغات الراقصة على الأطراف، والفتى الإنجليزي جود بيلينجهام الذي اقتحم الملاعب الإسبانية بثقة قادة الجيوش القدامى، وصولاً إلى الجواهر الصغيرة التي بدأت تلمع في الإقليم الكتالوني محاولة إحياء سحر الأكاديمية القديم.

لكن، ورغم بزوغ فجر هذا الجيل الاستثنائي، أدرك المحللون وعشاق التكتيك أن طبيعة اللعبة ذاتها قد تغيرت. كرة القدم الحديثة في مرحلة "ما بعد الأسطورتين" أصبحت أكثر صرامة، وأكثر اعتماداً على القوة البدنية، والضغط العالي، والمنظومة الجماعية المحكمة. المدربون الجدد باتوا يفضلون "الآلة التكتيكية" التي يتحرك فيها كل لاعب كترس في محرك ضخم، على حساب العبقرية الفردية المطلقة.

هذا التحول التكتيكي الصارم جعل من حقبة ميسي ورونالدو ظاهرة فريدة من المستحيل أن تتكرر. لقد كانا آخر حراس "الفردية الخارقة" في تاريخ اللعبة؛ آخر من تم تفصيل الخطط بأكملها، وتطويع أندية بحجم برشلونة

وريل مدريد، لخدمة عبقريتهما الشخصية وحريةهما المطلقة فوق العشب الأخضر.

لم يعد أحد يطالب مبابي أو هالاند بتسجيل سبعين هدفا في الموسم، ولم يعد أحد يتوقع أن يحتكر لاعبان منصة الكرة الذهبية لعقد ونصف دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منهما. لقد تصالح العالم أخيرا مع فكرة أن تلك الحقبة كانت استثناء لكسر القواعد، وليست قاعدة يمكن البناء عليها.

وهكذا، انطلق الجيل الجديد لكتابة رواياته الخاصة، وبناء أمجاده المنفصلة. ارتدوا القمصان الثقيلة التي تحمل الرقمين سبعة وعشرة، وحملوا على عواتقهم إرثا يزن الجبال. قد يحفرون أسماءهم من ذهب في سجلات دوري الأبطال، وقد يتوجون بكؤوس العالم مرات عديدة، لكنهم يعلمون في قرارة أنفسهم، كما يعلم كل مشجع يجلس في المدرجات، أن عرش كوكب الأرض قد رُفِعَ إلى السماء مع رحيل صاحبيه، وأن اللعبة ستظل ممتعة وجميلة، لكنها أبدا لن تكون بتلك العظمة المفرطة التي عشناها في عصر الساحر الأرجنتيني والمحارب البرتغالي

## الفصل الثاني والأربعون: صافرة الوداع.. إرث يتجاوز حدود المستطيل الأخضر

مع اقتراب إسدال الستار النهائي على مسيرة أعظم من لامسوا كرة القدم، لم يعد تأثير الثنائي مقتصرًا على الأهداف، والبطولات، والأرقام القياسية المجنونة. لقد أدرك العالم أن ما صنعه الفتى الأرجنتيني والمحارب البرتغالي قد تجاوز حدود الملاعب العشبية، ليتغلغل في النسيج الثقافي والاجتماعي لكوكب الأرض بأسره.

لم يعودا مجرد لاعبي كرة قدم، بل تحولوا إلى أيقونات عالمية ومؤسسات تمشي على قدمين. الفتى الذي ولد في شوارع روزاريو الفقيرة، وعانى من نقص هرمونات النمو، أصبح رمزا للأمل لكل طفل يواجه صعوبات جسدية أو قسوة في الحياة، مثبتًا أن الإرادة والسحر الفطري يمكنهما التغلب على أي عائق. وفي الجانب الآخر، الفتى الذي كان ينظف الشوارع في جزيرة ماديرا، كرس حياته ليثبت أن العمل الشاق والانضباط الحديدي يمكنهما أن يحولا الإنسان البسيط إلى بطل خارق لا يُقهر.

لقد ألهما مئات الملايين من الأطفال حول العالم. في كل قرية نائية، وفي كل مدينة كبرى، تجد أطفالًا يرتدون القميص رقم سبعة والقميص رقم عشرة، يقلدون طريقة ركضهما، وطريقة تسديدهما للركلات الحرة، وحتى طريقة احتفالاتهما بالأهداف. لقد كانا المعلمين الأوائل لأجيال كاملة، علماهم معنى الطموح، وكيفية النهوض بعد السقوط المروع، وكيف أن القمة لا تتسع إلا لمن يستعد لدفع ضريبتها من العرق والدموع.

خارج الملعب، امتدت إمبراطوريتهما لتشمل الجوانب الإنسانية والخيرية. تبرعا بملايين الأموال لبناء المستشفيات، ودعم الأبحاث الطبية، وإغاثة

الأطفال في مناطق النزاعات والكوارث الطبيعية. أدرك كلاهما أن الشهرة الطاغية والثروة الهائلة تحمل في طياتها مسؤولية كبرى تجاه الإنسانية، فاستخدما منصاتهما التي يتابعها مليارات البشر لنشر رسائل التسامح والسلام، محاولين رد الجميل للعالم الذي منحهما كل هذا الحب.

ومع اقتراب اللحظة التي سيعلقان فيها أحذيتهما للأبد، بدأت مشاعر الجماهير تتغير. اختفت حدة التعصب والمقارنات العمياء، وحلت محلها حالة من الحنين المسبق والامتنان العميق. حتى أشد المتعصبين لأحدهما، بدأ يدرك في قرارة نفسه أن كرة القدم ستفقد نصف بريقها بمجرد اختفاء الآخر. لقد أدرك الجميع أن هذا الصراع الثنائي لم يكن معركة فيها فائز ومهزوم، بل كان سمفونية موسيقية رائعة احتاجت إلى عازفين عبقرين لتكتمل.

في يوم من الأيام، ستنتقل صافرة الحكم لتعلن نهاية آخر مباراة لهما. لن يكون هناك المزيد من الأهداف الحاسمة، ولن تكون هناك ركضات مجنونة نحو راية الركنية. ستطفأ أنوار الملاعب، وستفرغ المدرجات من صخبها، وسيسود صمت مهيب في عالم كرة القدم. لكن إرثهما سيبقى حيا لا يموت؛ محفورا في مقاطع الفيديو التي سيشاهدها الأحفاد بذهول، ومخلدا في تماثيل برونزية ستنتصب أمام أعرق ملاعب العالم، وقبل كل ذلك، سيبقى محفورا في قلوب كل من عشق هذه اللعبة.

هنا تنتهي الحكاية، حكاية أسطورتين غيرتا وجه التاريخ، وكتبنا أسمائهما بحروف من نور في أنصع صفحات الخلود. حكاية ستروى للأجيال القادمة كدليل قاطع على أن البشر، حينما يمتلكون الشغف والإرادة، قادرون على صنع المعجزات ولمس أطراف السماء.

## الفصل الثالث والأربعون: أفق 2026.. الغروب الأخير ونبض الأساطير

مع حلول عام ألفين وستة وعشرين، بدأت ملامح النهاية الحتمية تلوح في الأفق بوضوح لم يسبق له مثيل. لم يعد الحديث عن "متى سيسجلون؟" بل أصبح "كم تبقى لنا من الوقت لنراهم؟". في هذا العام، وتحديداً مع اقتراب صيف المونديال الذي تستضيفه قارة أمريكا الشمالية، وقف العالم على أطراف أصابعه يرقب الفصل الختامي فعلياً في حياة اثنين من الآلهة الكروية التي لم تعرف التعب يوماً

في السعودية، وبقميص النصر، كان كريستيانو رونالدو قد تجاوز الحادية والأربعين من عمره. لكن المذهل لم يكن في عمره، بل في ذلك "العناد البيولوجي" الذي يظهره. لا يزال كريستيانو هو أول من يصل إلى التدريبات وآخر من يغادرها، لا يزال يصرخ بغضب إذا ضاعت منه تمريرة في التقسيمة، ولا يزال يحتفل بصرخته الشهيرة "سوووو" التي باتت تهز أرجاء الملاعب العربية والآسيوية. لقد أثبت الدون أن الجسد يمكن تطويعه إذا كانت الروح ترفض الهزيمة، محولاً الدوري السعودي إلى وجهة عالمية يراقبها الملايين لمجرد رؤية تلك الآلة التي تأتي الصدا

أما في ميامي، فكان ليونيل ميسي يعيش نسخة "الأستاذ" أو "البروفيسور". بقميصه الوردية، لم يعد ميسي يركض كثيراً، بل كان يمشي بخيلاء الملك الذي يعرف أين ستسقط الثمرة قبل أن تنضج. بلمسة واحدة، أو بنظرة خلفية، كان يفكك دفاعات الخصوم في الدوري الأمريكي، محولاً كرة القدم هناك من رياضة ثانوية إلى "هوس قومي". ميسي في عامه التاسع والثلاثين، لم يعد يقاتل لإثبات شيء، فقد فاز بكل شيء، لكنه كان يلعب من أجل "المتعة الصافية"، وهي الحالة التي تجعل السحر يتدفق بانسيابية أكبر.

ومع اقتراب مونديال 2026، انقسم العالم من جديد. هل سيشارك ميسي للدفاع عن لقبه الأخير؟ وهل سيحاول رونالدو كتابة معجزة برتغالية أخيرة يختم بها مسيرته؟ الإشاعات كانت تملأ الصحف، والقلوب كانت تتمنى ".رقصة وداع" واحدة فوق المسرح العالمي الأكبر.

لكن، وبعيداً عن الملاعب، كان الإرث قد استقر فعلياً. في عام 2026، بات ميسي ورونالدو هما المعيار الذي يُقاس به كل شيء. عندما يبرز شاب في البرازيل، يُقال "هل هو ميسي الجديد؟"، وعندما يظهر مهاجم قوي في أوروبا، يُسأل "هل يمتلك عقلية رونالدو؟". لقد تحولوا إلى "وحدات قياس" كروية، تماماً كما الغرام والمتر.

لقد غير هذا الثنائي مفهوم "الولاء للعبة". علمونا أن المنافسة ليست بالضرورة كراهية، بل هي "مرآة" يحتاجها البطل ليرى عيوبه ويطورها. لولا ميسي لما استمر رونالدو في التدريب حتى سن الـ41، ولولا رونالدو لما وجد ميسي الدافع ليحمل الأرجنتين إلى منصة لوسيل. كلاهما مدين للآخر بالعظمة التي وصل إليها.

في الفصل الثالث والأربعين، لا نودع لاعبين، بل نودع حقبة أصبحت جزءاً من الذاكرة الجمعية للبشرية. حقبة بدأت بفتى مراهق بشعر طويل في برشلونة، وجناح مهاري سريع في مانشستر، وانتهت بأسطورتين يجلسان على قمة جبل التاريخ، ينظران إلى الأسفل بابتسامة رضا، مدركين أن صافرة النهاية، مهما تأخرت، ستعلن انطلاق صافرة الخلود.

كرة القدم بعدهما ستستمر، ستظهر مواهب، ستُحطم أرقام، لكن "نكهة"  
ذلك الصراع، وتلك التفاصيل، وذلك الشغف الذي حبس أنفاسنا لعشرين  
عاماً.. ذلك شيء لن يشتريه مال، ولن تصنعه دعاية. لقد كان قدراً جميلاً،  
ونحن كنا شهوداً عليه

## الفصل الرابع والأربعون: الصافرة الأخيرة.. حين يتوقف الزمن خجلاً

في ليلة صيفية من ليالي عام ألفين وستة وعشرين، وبينما كانت أضواء الملاعب في أمريكا الشمالية تخفت تدريجياً بعد انتهاء آخر فصول المونديال، حدث ما كان يخشاه العالم ويتوقعه في آن واحد. لم تكن مجرد صافرة نهاية لمباراة، بل كانت صافرة نهاية لزمان كامل. جلس "ليو" على العشب ينظر إلى حذائه، ووقف "كريستيانو" في دائرة المنتصف يراقب المدرجات للمرة الأخيرة. في تلك اللحظة، لم يعد هناك "برشلونة" أو "مريدي"، "نصراوي" أو "ميامي"، بل كان هناك فقط "عشاق كرة قدم". يدركون أن قطعة من أرواحهم الرياضية ستعلق اليوم على جدران التاريخ.

لقد غير هذا الثنائي مفهوم "الشيخوخة الرياضية". في هذا الفصل الختامي، لم يعد الحديث عن الأهداف، بل عن "الأثر". كريستيانو رونالدو لم يترك خلفه مجرد كؤوس، بل ترك "دستوراً" لكل رياضي في العالم؛ دستوراً يقول إن الموهبة بلا عمل هي مجرد حلم ضائع، وأن بإمكان الإنسان أن يتحدى الطبيعة البيولوجية بالانضباط الحديدي. أصبح اسم "رونالدو" مرادفاً للإرادة التي لا تُكسر، والوقوف مجدداً بعد كل سقوط. لقد حوّل جسده إلى مختبر علمي أثبت فيه أن سن الأربعين هو مجرد رقم إذا كانت الروح لا تزال جائعة.

أما ليونيل ميسي، فقد ترك خلفه "ديواناً من الشعر الكروي". لم يكن ميسي يلعب كرة القدم ليحطم الأرقام، بل كان يلعبها ليثبت أن "البساطة هي قمة التعقيد". لقد جعل العالم يصدق أن هناك سحراً حقيقياً لا يزال موجوداً في هذا الكوكب. ترك ميسي وراءه جيلاً كاملاً تعلم أن العظمة لا تحتاج إلى ضجيج أو صراخ، بل تحتاج إلى قدم يسرى ترى ما لا يراه البشر، وقلب ينبض بحب اللعبة كطفل في أزقة روزاريو.

في لحظة الوداع، توارت كل الخلافات. أولئك الذين أمضوا عشرين عاماً يتجادلون "من هو الأفضل؟"، وجدوا أنفسهم فجأة يتعانقون بحزن. أدرك الجميع أن السؤال لم يكن يوماً "من الأفضل؟"، بل كان "كيف كنا محظوظين لنشهد الاثنين معاً؟". لقد كان ميسي هو "السؤال"، وكان رونالدو هو "الإجابة" الشرسة. كان أحدهما يمثل السهل الممتنع، والآخر يمثل الصعب الذي تحقق بالجهد. وبدونهما معاً، كانت الرواية ستكون ناقصة، والمسرح سيكون كئيباً

أغلقت أبواب غرف الملابس، وحملت القمصان لتوضع في المتاحف، لكن نبضهما ظل حياً في كل "لمسة سحرية" يقوم بها ناشئ صغير، وفي كل "ارتقاء جبار" يحاول به مهاجم شاب تطاول السحاب. في عام ألفين وستة وعشرين، لم يعد ميسي ورونالدو مجرد لاعبين، بل أصبحا "معايير" للخلود. سيُقال للأجيال القادمة: "نحن رأينا ميسي يراقب الدفاع بنظرة واحدة فيقتله، ورأينا رونالدو يتحدى الجاذبية بفقرات ظهره ليسجل في المستحيل".

الصافرة الأخيرة لم تكن نهاية القصة، بل كانت بداية "الأسطورة". لقد رحلنا عن الملاعب، لكنهما سكنا الذاكرة الجمعية للبشرية. واليوم، وبينما يمر الهواء بارداً فوق الملاعب الخالية، لا يزال صدى صرخة "سوووو" يتردد في الأفق، ولا يزال طيف "البرغوث" يتراقص بين المدافعين الخياليين

الفصل الخامس والأربعون: الفراغ العظيم.. حين يفتش العالم عن نسخة مكررة

مع رحيل ميسي ورونالدو عن الملاعب الأوروبية وتوجه الأنظار نحو الصافرة النهائية لمسيرتيهما، سقطت كرة القدم في فخ "المقارنة المستحيلة". لم تكن المشكلة في غياب المهارات أو الأهداف، فالملاعب لا تزال تنجب مواهب فذة، لكن المشكلة كانت في "الكاريزما الطاغية" التي تركاها خلفهما. أصبح المحللون والجمهور، وحتى شركات الإعلانات، في حالة بحث مسعور عن "النسخة المكررة"، عن ذلك الفتى الذي يمكنه أن "يحمل لواء" الظاهرة القادمة.

في هذا الفصل من عام 2026، بدأت ظاهرة "عبء المقارنة" تنهش في أجساد النجوم الشباب. كان أي لاعب يسجل هدفاً مراوفاً يُلقب فوراً بـ "ميسي الجديد"، وأي لاعب يقفز ارتقاءً عالياً أو يسجل من ركلة حرة يُقال عنه "خليفة رونالدو". لكن الحقيقة التي بدأت تفرض نفسها بمرارة هي أن ميسي ورونالدو لم يكونا مجرد "لاعبين متفوقين"، بل كانا "حالة ذهنية" واجتماعية استثنائية، صُنعت في ظروف لن تتكرر.

تأثرت صناعة الإعلام الرياضي بهذا الفراغ بشكل لم يسبق له مثيل. البرامج الرياضية التي كانت تعيش على "خناقة" ميسي ورونالدو الأسبوعية، بدأت تبحث عن صراعات بديلة، لكنها كانت تبدو "مفتعلة" وباردة. حاولوا وضع مبابي وهالاند في نفس القالب، لكن العالم كان يشعر بالفرق؛ فمبابي وهالاند بارعان في تسجيل الأهداف، لكنهما يفتقدان لتلك "الروح الملحمية" والعداء التاريخي الذي جعل من كلاسيكو إسبانيا معركة وجودية.

في كواليس الأندية الكبرى، بدأ المدربون يغيرون فلسفتهم. أدركوا أن عصر "النجم الأوحده" الذي يحمل الفريق على كتفه قد انتهى برحيل ميسي ورونالدو. بدأت الأندية تستثمر في "المنظومة الجماعية" أكثر من الفرديات. اختفت تلك التميريرة التي كانت تُعطى لميسي "لأنه سيتصرف"، أو تلك العرضية التي تُرسل لرونالدو "لأنه سيطير". تحولت كرة القدم إلى "شطرنج تكتيكي" صارم، غاب عنه ذلك الارتجال السحري الذي كان يميز الأسطورتين.

أما على الصعيد الجماهيري، فقد شهد عام 2026 تحولاً غريباً. بدأت الأجيال التي عاصرت الثنائي تشعر بـ "نوستالجيا مبكرة". انتشرت الفيديوهات القديمة بجودة عالية على منصات التواصل، وأصبحت المشاهدات لمخصات مبارياتهما في عام 2012 تتفوق على مشاهدات نهائيات حالية. كان العالم يحاول "استرجاع" تلك المشاعر، وكأنهم يرفضون التصديق بأن ذلك العصر قد انتهى فعلياً

وفي وسط هذا الفراغ، ظهرت "تجارة الإرث". بدأت المتاحف الرياضية في مدريد وبرشلونة ومانشستر ولشبونة تخصص أجنحة كاملة أطلقت عليها "أجنحة الخلود". أحذية ميسي التي سجل بها في نهائي لوسيل، وقميص رونالدو في نهائي باريس، تحولت إلى قطع أثرية تُقدر قيمتها بمئات الملايين. لم تكن مجرد أدوات رياضية، بل كانت "توائم" لزمان كان فيه المستحيل ممكناً.

لقد كان العالم في عام 2026 يتنفس "هواءً كروياً" مختلفاً، أقل نقاءً من هواء الحقبة الماضية. كان الجميع يدرك أنهم يعيشون في "عصر ما بعد العمالقة"، حيث يحاول الأمراء الجدد بناء ممالكهم، لكن ظلال ميسي ورونالدو كانت لا تزال تغطي كل شبر من العشب الأخضر، تذكر الجميع بأن القمة التي وصل إليها هذا الثنائي، ربما ستظل مهجورة لفترة طويلة جداً

## الفصل السادس والأربعون: مدرسة الأساطير.. توريث السر للجيل القادم

مع حلول منتصف عام ألفين وستة وعشرين، لم تعد أخبار ميسي ورونالدو تصدر صفحات النتائج والأهداف، بل انتقلت إلى صفحات "الفلسفة الرياضية" وبناء الأجيال. في هذا الفصل، أدرك العالم أن الأسطورتين قد انتقلا من مرحلة "صناعة التاريخ" إلى مرحلة "حراسة الإرث". لم يعد الهدف هو تسجيل هدف في الشباك، بل "زرع" عقلية الانتصار في عقول الصغار الذين يحلمون بالسير على خطاهما

في مدينة ميامي الأمريكية، تحول ليونيل ميسي إلى ما يشبه "المعلم الروحي". لم يكن يكتفي باللعب، بل شوهد مراراً في أكاديميات الناشئين، يجلس على العشب مع أطفال لم يتجاوزوا العاشرة، يشرح لهم بتبسيط مذهل كيف يمكن "قراءة" الملعب قبل أن تصل الكرة للقدم. كان ميسي يعلمهم أن "العين ترى، والعقل يقرر، والقدم تنفذ". تحولت ملاعب فلوريدا إلى مزارات كروية، ليس لمشاهدة ميسي يسجل، بل لمشاهدته وهو "يورث" سحر التمير والهدوء تحت الضغط لجيل جديد من الأمريكيين والملايينيين

أما في الرياض، فقد أطلق كريستيانو رونالدو مشروعه الأضخم: "أكاديميات العقلية الحديدية". لم يكن رونالدو يهتم فقط بالمهارة، بل كان يركز على "بناء الإنسان الرياضي". وضع نظاماً صارماً يتضمن التغذية، النوم، والتدريب الذهني. كان يظهر في الفجر ليقود تدريبات الناشئين بنفسه، يصرخ فيهم ليس قسوة، بل ليعلمهم أن "الموهبة هي البداية، والعمل الشاق هو النهاية". كان يريد أن يترك خلفه جيلاً يؤمن بأن المستحيل مجرد وجهة نظر، وأن الجسد يمكن تطويعه ليصبح آلة لتحقيق الأحلام.

## صراع من نوع جديد

في عام ألفين وستة وعشرين، نشأ نوع جديد من التنافس بينهما؛ لم يعد "تنافساً على الكرات الذهبية، بل على "أيهما سينتج خليفة أعظم؟

معسكر ميسي: يراهن على الموهبة الخام، والذكاء الفطري، واللعب الجماعي.

معسكر رونالدو: يراهن على الانضباط، والقوة البدنية، والإرادة التي لا تلين.

بدأ المحللون يراقبون المواهب الصاعدة ويصنفونها: "هذا الفتى يمتلك لمسة ميسي"، و"ذاك الفتى يمتلك إصرار رونالدو". لقد انقسم العالم مجدداً، ولكن هذه المرة ليس حول من هو الأفضل، بل حول "أي نهج هو الأصح لبناء مستقبل كرة القدم؟

## لقاء الحكماء

في حدث استثنائي أقيم في العاصمة القطرية الدوحة في مايو ألفين وستة وعشرين، اجتمع الثنائي في مؤتمر رياضي عالمي لمناقشة "مستقبل كرة القدم في عصر الذكاء الاصطناعي". جلس ميسي بهدوءه المعهود، ورونالدو بكبريائه الواثق.

الآلات قد تتعلم التكتيك، لكنها لن تتعلم أبداً كيف تشعر بالكرة، أو كيف "تلمح ثغرة في الدفاع بقلبك قبل عينك

ليونيل ميسي —

## رد عليه رونالدو بابتسامة

البيانات قد تخبرك كم ركض اللاعب، لكنها لن تخبرك أبداً عن حجم النار " التي تحترق في صدره عندما يكون خاسراً في الدقيقة تسعين

كان هذا اللقاء بمثابة اعتراف رسمي بأن كرة القدم فقدت "أقدامهما" لكنها كسبت "عقولهما". لقد أصبحت المرجعية الأولى لكل مدرب ورئيس نادي، وباتت نصيحة من أحدهما تعادل سنوات من الدراسة الأكاديمية

لم تكن الصافرة قد انطلقت بعد لتعلن الرحيل التام، لكنهما في عام ألفين وستة وعشرين كانا قد بدأ بالفعل في بناء "الممالك التي لا تغيب عنها الشمس"، ممالك لا تسكن الملاعب، بل تسكن في أحلام كل طفل يربط حذاءه لأول مرة ويحلم بأن يكون.. خالداً

## الفصل السابع والأربعون: صراع مع الخلود.. تحطيم عدّاد الأرقام المستحيلة

في عام ألفين وستة وعشرين، لم تعد ملاعب كرة القدم مجرد ساحات للتنافس، بل تحولت إلى "مختبرات بشرية" لمراقبة أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من صمود. كان العالم يراقب بشغف، لا ليسأل من سيفوز بالمباراة، بل ليسأل: "إلى أي رقم سيصلان اليوم؟". لقد تجاوز ميسي ورونالدو مرحلة تحطيم أرقام الأساطير الراحلين، وبدأوا في تحطيم أرقامهم الشخصية التي صنعوها بأنفسهم، في معركة شرسة ضد عقارب الساعة وقوانين الطبيعة.

في المملكة العربية السعودية، كان كريستيانو رونالدو يطارد الرقم الذي ظن الجميع أنه ضرب من الخيال: "الألف هدف". في كل مباراة بقميص النصر، كان المذيعون والجمهور يحبسون أنفاسهم مع كل لمسة للبرتغالي داخل المنطقة. لم يعد كريستيانو يركض خلف الكرة، بل كان يطارد "التاريخ" حرفياً.

شهد هذا العام لقطة إعجازية في دوري أبطال آسيا؛ حيث سجل رونالدو هدفاً بضربة رأسية ارتقى فيها لمسافة جعلت المدافعين يبدون وكأنهم متجمدون في أماكنهم. في سن الحادية والأربعين، كانت قفزته لا تزال تتحدى الجاذبية، وكان عضلاته قد صنّعت من ألياف لا تعرف الوهن. صرخ المعلق بذهول: "أوقفوا العداد! هذا الرجل لا يشيخ، إنه يولد من جديد مع كل هدف!". وصل كريستيانو إلى رقم لم يجرؤ أحد على الحلم به في العصر الحديث، ليصبح "الجلاد التاريخي" الذي لم يترك شبكة في ثلاث قارات إلا ومزقها.

وعلى الجانب الآخر من الكوكب، في الولايات المتحدة، كان ليونيل ميسي يسطر نوعاً آخر من الإعجاز. لم يكن يطارده عدد الأهداف بقدر ما كان يطارده "الكمال الفني". في عام ألفين وستة وعشرين، أصبح ميسي رسمياً اللاعب الأكثر تتويجاً بالألقاب الجماعية في تاريخ كرة القدم، محطماً رقم زميله السابق داني ألفيش.

لكن الرقم الذي أذهل العالم كان "عدد التمريرات الحاسمة". وصل ميسي إلى رقم إعجازي في صناعة اللعب، ليثبت أن "العقل" ينمو بينما الجسد يتعب. في مباراة تاريخية مع إنتر ميامي، قدم ميسي ثلاث تمريرات حاسمة في عشر دقائق فقط، دون أن يركض أكثر من مائة متر! كان يقف في دائرة المنتصف، يوزع الهدايا لزملائه بلمسات سحرية تخترق جدار الدفاع كأنها خيوط ضوء. قال أحد المحللين يومها: "ميسي لا يحتاج للركض لكي يقتل". "الخصم، هو يقتلهم بنظرته قبل أن تتحرك الكرة

### سباق الأنفاس الأخيرة

"تحول عام ألفين وستة وعشرين إلى سباق محموم بين "الكم والكيف

رونالدو: يراكم الأهداف كالجبال، مهووساً بأن يترك رقماً لا يستطيع أي بشري الوصول إليه لقرن قادم. كان يتمرن في صالة الألعاب الرياضية لساعات إضافية ليضمن أن "الماكينة" لن تتوقف قبل بلوغ الهدف المنشود.

ميسي: يراكم المتعة والجوائز، مهووساً بأن تكون كل مباراة له هي "لوحة فنية" أخيرة. لم يعد يهمه عدد الأهداف بقدر ما يهمه أن يخرج الجمهور "من الملعب وهم يقولون: "لقد رأينا السحر بأعيننا

المذهل في هذا الفصل من حياتهما هو "الاحترام الصامت" الذي ساد. لم يعد أي منهما يقلل من شأن الآخر في اللقاءات الصحفية. عندما سُئل رونالدو عن ألقاب ميسي، أجاب باختصار: "هو الأعظم في موهبته". "وعندما سُئل ميسي عن أهداف رونالدو، قال: "هو الآلة التي لن تتكرر

### نحو الغروب المذهب

ومع اقتراب نهاية عام ألفين وستة وعشرين، كان العالم يدرك أن هذه الأرقام ليست مجرد إحصائيات على الشاشة، بل هي "وصية كروية". كل هدف يسجله رونالدو هو مسمار في نعش المستحيل، وكل تمريرة يرسلها ميسي هي قبلة وداع على جبين السحر.

لقد وصلا إلى نقطة في التاريخ لم يعد فيها مجال للمقارنة بينهما، بل أصبحا هما "المقياس" الذي تُقاس به عظمة الأجيال القادمة. وفي تلك الليلة الباردة من شهر ديسمبر، وقف العالم يصفق للرقمين الأسطوريين اللذين ظهرا على لوحة النتائج العالمية، مدركين أننا نقرب من الفصل الذي سيتوقف فيه العداد للأبد، لتبدأ مرحلة "الذكرى الخالدة

## الفصل الثامن والأربعون: مونديال 2026.. الوداع الأخير فوق قمة العالم

جاء صيف عام ألفين وستة وعشرين ليحمل معه الحدث الذي انتظره كوكب الأرض طويلاً؛ كأس العالم في أمريكا الشمالية. لم يكن مجرد مونديال لتحديد بطل جديد، بل كان "المهرجان الختامي" للحقبة التي شكلت وجدان جيل كامل. فوق أراضي الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، احتشدت الجماهير لا لمتابعة صراع المنتخبات فحسب، بل لتلقي النظرة الأخيرة على الملكين قبل أن يترجلا عن العرش للأبد.

في معسكر المنتخب الأرجنتيني، كان ليونيل ميسي يجسد دور "القائد الحكيم". لم تعد أقدامه تمنحه تلك الانفجارات السريعة التي كانت تمزق الدفاعات في الماضي، لكن عقله كان يرى الملعب كخارطة مكشوفة. كان يشارك في فترات محسوبة، لكن تأثيره داخل غرف الملابس كان يفوق الوصف. في كل مرة كان ينهض فيها للإحماء على خط التماس، كانت الملاعب تهتز بهتافات تقشعر لها الأبدان، هتافات تحمل مزيجاً من الشكر والوداع.

وعلى الجانب الآخر، في معسكر البرتغال، كان كريستيانو رونالدو يصارع الزمن بكبريائه المعهود. في سن الحادية والأربعين، كان وجوده في قائمة المنتخب معجزة رياضية في حد ذاتها. لم يعد يطالب باللعب كل دقيقة، لكنه كان "الرصاصية" التي يدخرها المدرب للحظات الحسم. في مباراة ربع النهائي، وعندما تعقدت الأمور، دخل رونالدو في الشوط الثاني، وبللمسة واحدة وبرأسية انتحارية، سجل هدفاً أشعل الحماس في قلوب زملائه، مؤكداً أن روح المحارب لا تموت حتى لو تعب الجسد.

لحظة التقاطع الكبرى

في لقطة سريرية ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ، التقت الأرجنتين والبرتغال في إحدى الأدوار المتقدمة. وقبل صافرة البداية، وأثناء تبادل الأعلام بين القائدين، توقفت الكاميرات لتسجل تلك الثواني الصامتة. تعانق ميسي ورونالدو عناقاً طويلاً، لم يكن عناقاً لبروتوكول المباراة، بل كان تعازياً متبادلاً في نهاية الرحلة. التقطت الميكروفونات ميسي وهو يهمس بكلمات قليلة، ورد عليه رونالدو بابتسامة حزينة وهزة رأس. في تلك اللحظة، شعر العالم أن الكرة الأرضية توقفت عن الدوران؛ فالمنافسة التي استمرت عشرين عاماً كانت تودعنا الآن بسلام وهدوء.

### الدموع والمجد

انتهى المونديال، وبغض النظر عن هوية البطل، كان البطل الحقيقي هو "الإرث". في ليلة الوداع الأخير للمنتخبين، وقف ميسي في وسط الملعب يلوح للجماهير، وعيناه تفيضان بدموع لم تكن دموع انكسار، بل كانت دموع امتنان لكل لحظة سحر قدمها. وفي الجانب الآخر، سار رونالدو نحو النفق للمرة الأخيرة، وهو يربت على صدره جهة القلب، مودعاً القميص الذي جعله رمزاً وطنياً خالداً.

كان عام ألفين وستة وعشرين هو "المقبرة" الجميلة لمسيرتيهما الدولية. لقد سلما الراية رسمياً لجيل جديد، لكنهما تركا خلفهما معايير لا يمكن الوصول إليها. غادرا المسرح العالمي وهما في قمة الهرم، تاركين خلفهما ملاعب ستحن طويلاً لصوت ركلاتهما، وجمهوراً سيظل يحكي لأحفاده: "لقد كنا هناك، في الزمن الذي كان يمشي فيه العمالقة على الأرض".

ومع انطفاء أضواء المونديال، بدأت مراسم الاستعداد للفصلين الأخيرين، حيث سيعلن الاعتزال التام، وتتحول الأسطورة من "لحم ودم" إلى "قصة خالدة" تُروى في كتب التاريخ.

## الفصل التاسع والأربعون: الصمت الكبير.. يوم جفت الأقلام وطويت الصحف

بعد انتهاء صخب مونديال ألفين وستة وعشرين، خيم على عالم كرة القدم هدوء غريب، هدوء يسبق العاصفة التي كان الجميع يخشى وقوعها. لم تكن مجرد نهاية بطولة، بل كانت لحظة الحقيقة التي تهرب منها الجميع لعقدين. وفي أسبوع واحد من شهر أكتوبر لعام ألفين وستة وعشرين، توقف نبض الكوكب مرتين.

### الإعلان الأول: كبرياء المحارب

في ظهيرة يوم الثلاثاء، اهتزت شبكة الإنترنت كما لم تهتز من قبل. عبر حساباته التي يتابعها أكثر من مليار إنسان، نشر كريستيانو رونالدو مقطع فيديو قصيراً بإنتاج سينمائي مبهر، لخص فيه رحلته من شوارع ماديرا الضيقة إلى قمم المجد العالمية. ظهر رونالدو في الفيديو واقفاً في منتصف ملعب "أولد ترافورد" خاوياً، ينظر إلى المدرجات بصمت، قبل أن يلتفت للكاميرا ويقول بنبرة هادئة ولكنها مليئة بالكبرياء:

لقد طاردت كل كرة، وحطمت كل رقم، وهزمت كل شك. جسدي يقول "كفى، لكن قلبي سيظل ينبض بروح التحدي للأبد. اليوم، أضع حذائي جانباً، لكن اسمي سيظل يطارد أحلامكم. المهمة تمت بنجاح"

لم يطلب رونالدو الشفقة، ولم يبك أمام الكاميرا، بل رحل كما عاش: ملكاً يعتز بانتصاراته، تاركاً خلفه إرثاً من الأهداف التي لن تمحى، وعقلية غيرت مفهوم الرياضة للأبد.

## الإعلان الثاني: وداع الساحر

بعد ثلاثة أيام فقط، وفي مشهد مختلف تماماً، ظهر ليونيل ميسي في فيديو بسيط من منزله في ميامي، يجلس بجانب عائلته والكرة بين قدميه كالعادة. لم يكن هناك صخب أو موسيقى تصويرية، فقط ميسي بابتسامته الخجولة المعهودة وعينين تلمعان بدموع الحنين. قال ميسي بلغة رقيقة مست قلوب الملايين:

كرة القدم منحنتي كل شيء، وأنا حاولت أن أمنحها كل ما لدي. كنت " مجرد طفل يحب الركض خلف الكرة، واليوم أرحل وأنا أحمل حبكم الذي هو أغلى من أي كأس. شكراً لأنكم سمحتم لي أن أكون جزءاً من أحلامكم. لقد "حان الوقت لأكون مجرد "ليو" الأب والزوج

كان رحيل ميسي يشبه قصائده الكروية؛ هادئاً، عميقاً، ويترك خلفه أثراً من السحر والجمال الذي لا يمكن تعويضه.

## العالم في حالة حداد كروي

في ذلك الأسبوع، لم تكن هناك أخبار رياضية أخرى. أطفنت الأنوار في معالم عالمية تكريماً لهما؛ بُرج خليفة في دبي تزين بصورهما، وتمثال "المسيح الفادي" في البرازيل اكتسى بألوان التقدير، وحتى برج إيفل في باريس أضاء تحية للأسطورتين.

اللاعبون من الجيل الجديد، الذين نشأوا وهم يشاهدونهما، امتلأت حساباتهم برسائل الامتنان. قال مبابي: "اليوم أصبحنا يتامى كروياً"، وكتب هالاند: "شكراً لأنكما جعلتما المستحيل يبدو سهلاً". لم تكن مجرد كلمات، بل كانت

صرخة جيل أدرك أنه سيواجه الملاعب غداً دون أن يجد "الشمس" التي  
كانت تنير سماء كرة القدم

اليوم التالي: الصمت الموحش

في صباح اليوم التالي للاعتزال الرسمي، استيقظ العالم على واقع جديد. لم  
تكن هناك تدريبات لينضم إليها ميسي، ولا صالة ألعاب رياضية ينتظرها  
رونالدو في الفجر. خلت صفحات الصحف من صراع الأرقام، وتوقفت  
المقارنات. ساد صمت موحش في غرف الملابس حول العالم، وكأن الجميع  
"يخشى أن ينطق بالكلمة التي تلخص المشهد: "النهاية

لقد طويت الصفحة الأهم في تاريخ اللعبة، وجفت الأقلام التي كتبت  
ملاحمهما. لم يبق سوى الذكريات، ومقاطع الفيديو التي ستحكي للأجيال  
القادمة أننا، في يوم من الأيام، كنا شهوداً على زمن العمالة

## الفصل الخمسون: خلود العمالقة.. حيث لا تغيب الشمس أبداً

مرت السنوات على ذلك الخريف الحزين من عام ألفين وستة وعشرين، وهدأت عواصف الوداع الصاخبة، لكن الصدى لم ينقطع. في هذا الفصل الختامي، لم نعد نتحدث عن لاعبين اعتزلوا، بل عن "حقبة زمنية" نُقِشت في وجدان البشرية، حقبة سيُورخ لها في كتب الرياضة بـ "ما قبل وما بعد". ميسي ورونالدو.

### إرث يتجاوز الزمن

في عام ألفين وثلاثين، وما بعده، تحولت قصة ميسي ورونالدو إلى أسطورة تُحكى للأطفال قبل النوم، تماماً كحكايات الفرسان في العصور الوسطى. لم يعد الجدل حول "من الأفضل" يثير الضغينة، بل أصبح نوعاً من "النوستالجيا الراقية". جلس عشاق الكرة القدامى في المقاهي، يشرحون للجيل الجديد الذي لم يرهما حياً: "يا بني، أنتم ترون أهدافاً جميلة الآن، لكننا رأينا السحر يسير على قدمين، ورأينا الإرادة تطوي المستحيل". طياً.

ميسي: أصبح "أيقونة السحر" التي تُدرس في أكاديميات الفنون قبل الرياضة. لم تعد مراوغاته مجرد لقطات فيديو، بل أصبحت مادة بحثية لعلماء الحركة والفيزياء، يحاولون فهم كيف كان ذلك الجسد الصغير يتلاعب بمركز الثقل ويخادع قوانين الطبيعة.

رونالدو: أصبح "دستور النجاح" الذي يُدرس في كليات الإدارة وعلم النفس. لم يعد مجرد هداف، بل صار نموذجاً لـ "الإنسان المتفوق" الذي

بنى نفسه من العدم، ليثبت أن الانضباط هو العملة الوحيدة التي لا تنهار قيمتها أبداً.

### المشهد الختامي: لقاء فوق القمة

في حفل ضخم أقيم في "متحف كرة القدم العالمي" لتكريم أساطير القرن، وقف الاثنان جنباً إلى جنب للمرة الأخيرة ببدلاتهما الرسمية. لم يكن هناك حكام، ولا مدافعون، ولا شاشات عرض للنتائج. كان هناك فقط "رجلان". "غيراً وجه العالم".

نظر رونالدو إلى ميسي وقال بابتسامة خفيفة: "لقد جعلتني لا أنام لسنوات،". "كنت أتدرب لأسبقك، فوجدتك دائماً هناك".

رد ميسي بهدوئه المعتاد: "وأنا كنت أنظر إلى أرقامك وأقول لنفسي: إذا توقفت لحظة، فسيأخذ هذا البرتغالي كل شيء. شكراً لأنك كنت ظلي الذي". "دفعني للنور".

في تلك اللحظة، أدرك العالم أن الصراع لم يكن بين شخصين، بل كان صراعاً بين "العبقرية" و "الإرادة"، وهو الصراع الذي بسببه ارتقت كرة القدم إلى مرتبة "الدين العالمي" الذي يوحد الشعوب.

### الكلمة الأخيرة لجيلنا

نحن، الذين عاصرنا هذه الحقبة، كنا المحظوظين بصدق. نحن الذين رأينا ميسي يرفع كأس العالم في لوسيل، ورأينا رونالدو يبكي في تورينو ثم يبتسم في الرياض. نحن الذين استمتعنا بخمسة عشر عاماً من "الكمال الكروي" الذي قد لا يتكرر لقرون قادمة.

لقد طويت الرحلة التي بدأت من شوارع "روزاريو" وأزقة "ماديرا"،  
لتستقر فوق سحاب التاريخ. غادر ميسي ورونالدو الملاعب، لكنهما لم  
يغادرا قلوبنا. سيبقى طيفهما يرفرف فوق كل مرمى، وصداهما يتردد مع كل  
هتاف، وذكرهما محفورة في كل لمسة سحرية أو قفزة جبارة.

قد تنجب كرة القدم نجوماً، وقد تصنع أبطالاً، لكنها لن ترى أبداً شمسين "  
تشرقان في سماء واحدة بنفس القوة، لزمان طويل، كما فعل ليونيل ميسي  
وكريستيانو رونالدو."